د. أحمد جمال الدين موسى يكتب: أبوالمعاطى أبوالنجا رائداً وإنساناً راقياً

جريدة المصري اليوم - الأربعاء ٢١-١٢-٢٠١٦ ٢١:٢٨

افتقد الأدب العربى، هذا الأسبوع، قاصاً وروائياً من طراز فريد، استطاع- والكلام للناقد الكبير الدكتور عبدالقادر القط، فى كتابه المعنون «دراسات فى الأدب الحديث»- «أن يتميز فى نوعين من القصة القصيرة: القصة التى تحتفى بالنزعة الفكرية، والقصة التى تعمق اللحظة النفسية». وإذا كان الدكتور رشاد رشدى قد خشى أن تطغى النزعة الفكرية فى مجموعة أبوالمعاطى أبوالنجا القصصية الأولى «فتاة فى المدينة» (التى صدرت طبعتها الأولى فى بيروت فى عام ١٩٦١، والثانية فى القاهرة فى عام ١٩٩٢) على النزعة الفنية، فإن مَن تصدى له كان الناقد الأشهر فى ذلك الوقت، الدكتور محمد مندور، الذى أكد، فى مقال فى جريدة الجمهورية، أن «النزعة الفكرية فى أعمال الكاتب لا تأتى على حساب فنية القصة، بل تتحقق من خلالها».

ولعل استعراض عناوين مجموعاته القصصية يُظهر عمق توجه الأديب الفكرى والنفسى، فبعد «فتاة فى المدينة» جاءت فى عام ١٩٦٣ «الابتسامة الغامضة»، وفى عام ١٩٦٦ «الناس والحب»، ثم «الوهم والحقيقة» فى عام ١٩٧٤، و«مهمة غير عادية» فى عام ١٩٨٠، و«الزعيم» فى عام ١٩٨١، و«الجميع يربحون الجائزة» فى عام ١٩٨٤، وأخيرا «فى هذا الصباح»، التى صدرت فى عام ١٩٩٩. ولهذا نجد ناقدا عراقيا متميزا، هو عبدالجبار عباس، يؤكد، فى كتابه «فى النقد القصصى»، أن «الطبيعة الفنية للكاتب طبيعة جدلية، فهو يؤمن أن إقامة صراع أو تقابل بين النقائض هو الطريقة الفذة لاكتشاف أغوار الحياة والنفس البشرية» وينعكس ذلك فى «افتتان الكاتب بالتحليل المتأنى وتتبع مختلف التفاصيل الدقيقة».

وإذا كان الدكتور شكرى عياد قد نشر، فى مجلة الهلال، مقالين متتاليين بعنوان واحد، هو: «أبوالمعاطى أبوالنجا شاعر الألفة والأمل»، مُظهرا ما فى قصصه من نزعة للعمق والتجريب، ورؤية ما تنطوى عليه الحياة من شمول وصفاء ونفاذ إلى جوهر الوجود، فإنه قد عاد ليشير، فى كتابه «القفز على الأشواك»، إلى أن «الكاتب فى علاقته بالواقعية يحمل فى داخله أسطورة الاعتقاد بوحدة الوجود، وأن هذه الأسطورة رافقته من أرض الواقعية إلى أرض الحداثة».

وللأستاذ محمد أبوالمعاطى أبوالنجا روايتان: «العودة إلى المنفى»، التى صدرت طبعتها الأولى عن دار الهلال فى عام ١٩٦٩، وطُبعت للمرة الرابعة ضمن مكتبة الأسرة فى عام ١٩٩٩، وهى تدور حول الشخصية الفذة «عبدالله النديم»، خطيب الثورة العرابية، خاصة فى ترحاله وتخفِّيه من المستعمرين الإنجليز وأعوانهم فى السنوات التى تلت هزيمة أحمد عرابى، وهى رواية صُنِّفت ضمن أفضل مائة رواية عربية حتى الآن، وتحولت إلى مسلسل تليفزيونى بديع تابعه جمهور المشاهدين فى مصر والعالم العربى.

يُوجز الناقد الكبير فاروق عبدالقادر مضمون هذه الرواية العبقرية عندما اختار، فى كتابه «من أوراق الرفض والقبول»، لمقاله الذى تناوله عنوانا موحيا: «كيف سطع الحلم المصرى وكيف تبدد؟»، وربما لهذا نجد عبدالجبار عباس يصفها بأنها «ملحمة العودة إلى المنفى»، ويؤكد أنها «تلتقى مع النماذج المتألقة فى فن السيرة، إذ تمزج بين السرد القصصى والسرد التاريخى، كما أنها تلتقى لقاءً عرضيا عابرا بالروايات التاريخية العربية، وتتجاوزها بأشواط، فهى على صعيد الرؤية والفكر قفزة نوعية مختلفة تقترب من خلالها من الرواية التاريخية الأوروبية الحديثة التى اتجهت إلى النقد الذاتى والمقاومة، وصيانة المُثُل الإنسانية العليا، وصناعة نموذج بطل إيجابى».

والرواية الثانية «ضد مجهول»، التى صدرت طبعتها الأولى عن دار الهلال، فى عام ١٩٧٥، قد أثارت أيضا اهتمام النقاد، فيلاحظ الناقد الدكتور محمد حسن عبدالله أن «الحس التراجيدى هو السائد فى الرواية، وهو عرق ينبض فى أعماقها، حتى انفجر فى حادث قتل فى نهايتها»، وأن «الكاتب لم يُنشئ هذه الرواية لتحمل رسالة محددة فى قضية التغيير التى طرحتها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو تصل بالقارئ إلى هدف قرره هو سلفاً، إنه يريد فقط أن يحرك أفكارنا وأن يوسع من دائرة رؤيتنا لبعض ما يسكن فى أعماقنا من فكر، ربما اكتسب صوابه من مجرد استقراره فى الأعماق».

هذا بعض ما كُتب عن إبداع أبوالمعاطى أبوالنجا فى القصة والرواية، فضلاً عن كتاباته النقدية، التى زخرت بها مجلة العربى الكويتية على مدار سنوات عديدة، وضم معظمها كتابه «طرق متعددة لمدينة واحدة»، الذى شكل المجلد الرابع من سياق أعماله الكاملة الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، فى عام ١٩٩٧، وكذلك كتابه «القصة العربية القصيرة: أصوات ورؤى جديدة»، ضمن سلسلة كتاب العربى عام ١٩٩٨.

غير أن الأستاذ أبوالمعاطى أبوالنجا، الدرعمى، الذى بدأ حياته العملية بالتدريس، ثم رئيسا للتحرير بمجمع اللغة العربية، وأنهاها مديرا لمكتب مجلة العربى الكويتية بالقاهرة، لم يكن بالنسبة لى ولآخرين غيرى مجرد مبدع متميز، ولكنه كان معلماً حقيقياً دمث الخلق واسع الأفق ورحب الصدر، كما كان مثقفاً من طراز رفيع، ومتابعا جيدا لكل جديد فى الآداب والفنون، بل أيضاً فى السياسة والاقتصاد. كان يطرح- فى حواراتنا الهاتفية التى تواصلت إلى ما قبل أيام

قليلة من اشتداد المرض عليه- موضوعات جديدة لم أكن أتوقع أن تثير اهتمامه فى سنه وظروفه الصحية، لقد ظل العقل دائماً عفياً متألقاً رغم تقدم العمر وواهن الجسد.

قبل أكثر من خمسة وأربعين عاما وأنا فى بداية سنوات دراستى الجامعية، كنت أزوره كثيراً فى شقته التى لم يغيرها أبداً فى شارع ١٣ فى المعادى، خاصة عندما كنت أغادر المدينة الجامعية فى بين السرايات لأقضى عطلة نهاية الأسبوع فى ضيافة عمتى وعمى المستشار «جيرانه» فى نفس العمارة. كان لا يبخل علىَّ بكتبه ونصائحه، وأحياناً باستفزاز قناعاتى الريفية المستكينة، وكان أحياناً يدعونى لحضور لقاءاته فى بيته بأصدقائه من جيله المُشرق: سليمان فياض وفاروق شوشة ورجاء النقاش وصلاح عبدالصبور وآخرين لا أتذكرهم الآن. وعن طريقه توطدت معرفتى بمبدعين كثر، من بينهم الساخر محمد مستجاب، والأديب الكبير الأستاذ يوسف الشارونى، أمد الله فى عمره.

لقد شارك أبوالمعاطى أبوالنجا ورفاقه من جيل الستينيات- الذين لم ينالوا مستوى الشهرة والمجد الذى حظى به الجيل السابق عليهم، جيل يوسف إدريس ونعمان عاشور وسعد الدين وهبة- فى تمهيد مسالك وطرق جديدة للمبدعين من الأجيال اللاحقة، فضلاً عما تميزوا به من التواضع والانفتاح على هذه الأجيال ورعايتها وتمكينها من التعبير عن نفسها بحرية، مهما تفاوتت خياراتها وتوجهاتها الفكرية. ومع ذلك لم يحظَ هذا المبدع الرائد بما يستحقه من تقدير، ربما لفرط تجرده وتواضعه وحيائه ونفوره من الانضواء ضمن أطر الشبكات والتحالفات التى طفت على سطح المحيط الثقافى. لقد رُشح فى السنوات الأخيرة أكثر من مرة لجائزة الدولة التقديرية، لكنه لم يحصل عليها فى تصويت المجلس الأعلى للثقافة، رغم أنه كان قد نال بجدارة جائزة الدولة التشجيعية فى الرواية لعام ١٩٧٠/١٩٧١ عن رائعته «العودة إلى المنفى»، ومع ذلك فإن الأمل كبير فى أن يُمنح جائزة النيل، التى رشحه لها نادى القصة منذ أسابيع قبل وفاته.

الخميس ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦

بوابة أخبار اليوم:

شيخ النقاد: أبو المعاطي أبو النجا لا يقل مكانة عن نجيب محفوظ

أكد الناقد الأدبي الكبير د. الطاهر أحمد مكي أن وفاة الروائي أبو المعاطي أبو النجا كانت خسارة كبيرة للحياة الثقافية المصرية.

وقال د. مكي لـ"بوابة أخبار اليوم" إن أبو النجا لا يقل مكانة وقامة عن نجيب محفوظ، ولكن السنوات الطويلة التي قضاها في بلاد الخليج شغلته كثيرًا عن مشروعه الروائي والقصص.
وأشار د. مكي إلى تميز أبو المعاطي أبو النجا بكتابة القصة القصيرة منذ كان طالبًا في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، حيث كان يحصد الجائزة الأولى في كل مسابقة يدخلها، ولعله القصاص الوحيد الذي نقل المنتج السينمائي إلى الفن القصصي بأسلوب لا يُعلى عليه.
وأضاف د. مكي إن أبو المعاطي أبو النجا كان إحساسه بفنه عاليًا ولذلك لم يتطفل على موائد وزارة الثقافة أو أي لجنة من لجانها، مضيفا: "أذكر أنني اتصلتُ به لأرشحه لجائزة الدولة التقديرية وهو الذي لم يحصد جائزة واحدة في مصر، فقال لي إن الجوائز تكون لمعاونة إخواننا الذين يحتاجون إلى مساعدةٍ ماليةٍ وأنا لا أحتاجُ إلى مساعدةٍ مالية من أي نوع.. هكذا كان أبو المعاطي أبو النجا، ولا أظن أن أحدًا في وزارة الثقافة قد التقاه أو يعرف قدره، وكنتُ أتمنى أن رجلا مثله ينعاه وزير الثقافة على كل المستويات الثقافية.. رحمة الله عليه فقد كان قمة وقدوة كما فنانًا، والفنان يحتفظ دائمًا بكبريائه في كل الظروف".

القاهرة ــ العدد ٨٠٨
سيد محمود يكتُب:
"أبو المعاطي ابو النجا" نديم الكتابة وفارسها

مات الكاتب الكبير أبو المعاطي أبو النجا بعد شهور قضاها مريضا بمستشفي السلام الدولي في حالة صحية حرجة كانت تقتضي من الدولة تدخلا جادا لانقاذ حياته بعد ان استنفدت اسرته ما لديها من اموال في علاج كاتبنا الكبير ومثل هذا التدخل كان واجبا ضروريا لانقاذ كاتب قضى سنوات حياته في الظل بعيدا عن المهاترات التي باتت عنوانا لحياتنا الثقافية راضيا بما تحقق له من نجاح مستحق في بداياته الادبية التي شهدت وهجا يندر ان يتحقق لكاتب اخر.

ومن المؤسف حقا اننا نضطر الان للتعريف بالمنجز الابداعي لابو النجا الذي بدأ نشر اعماله منذ نهاية الخمسينيات بمجلة الرسالة وواصل حتى غادر للعمل في الكويت في تغريبة طويلة غيبته عن المشهد الابداعي على الرغم من دوره الكبير في تحرير مجلة العربي الكويتية عبر سنوات تألقها مجاورا لاحمد بهاء الدين ومصطفي نبيل وراعيا لأسماء كبيرة مثل محمد المنسي قنديل ومحمد المخزنجي الذي لا انسى له مقالا رائقا كتبه في مديح سنوات العمل الى جوار ابو النجا يفيض كعادة ما يكتب بالرقة والانسانية ومودة صوفية يصعب تفادي ما فيها من نضارة وشعور فياض بالرضا عن تلك السنوات التي رضى فيها ان يحجب موهبته ليتقدم الاخرون.

ويعرف المهتمون بالادب المصري أن مأزق ابو المعاطي ابو النجا الذي يفسر تغييبه الجزئي يرتبط على نحو ما بالورطة التي يجدها الناقد في تصنيف كتابته والتي ترتبط بمفهوم الاجيال اذ يقع ضمن كتاب الحلقة المفقودة بتعبير الراحل سيد حامد النساج ، هؤلاء الذين نشروا اعمالهم في الخمسينيات ثم جاء زحف كتاب الستينيات ليخفي بعض ما انجزوه من تحولات في مواضعات القص المصري الذي كان يعيشه تحولاته الكبرى على يد ويوسف الشاروني وسعد مكاوي و يوسف ادريس الذي كانت موهبته عربة كاسحة لا احد يقاوم اندفاعها.

وعلى الرغم من ان شهرة ابو النجا ارتبطت بالنجاح الذي تحقق لروايته الفذة " العودة الى المنفى " والتي تروي تغريبة المناضل عبد الله النديم وتلاحق اسباب فشل الثورة العرابية الا ان موهبته الاكبر من وجهة نظري ترتبط بمجموعاته القصصية الفريدة وهي "فتاة المدينة ، ابتسامة غامضة ، الناس والحب ، مهمة غير عادية ، الجميع يربحون الجائزة " وكلها مجموعات لا تزال بحاجة لقراءة منصفة تضعه في المقدمة ككاتب طليعي فذ لم ينل ما يستحق من اهتمام فالجائزة الوحيدة التي نالها هي جائزة الدولة التشجيعية جاءت عن روايته "العودة الى المنفى" التي طبعت في عدة طبعات

وما كان له ان يكتب هذا العمل الفريد الا بالاطلاع على وثائق الثورة العرابية والغوص في مكتبة المستشار طارق البشري لقراءة تاريخ الثورة.
فترة اعداد طويلة تفسرجديته وتبرر شغفه بما يفعل وتكشف سر توهج لا ينطفيء ، فهي رواية لا تزال بنار الفرن بعد أكثر من اربعين عاما علي صدورها.

ولو كانت الدولة جادة في كل ما تشيعه عن رغبته في التنوير او التعريف بقوة مصر الحقيقية لكان اول ما تفعله هو ان تتحول هذه الرواية الى مقرر دراسي في المرحلة الاعدادية او الثانوية لنضمن للاجيال الجديدة المتعة الفائقة اولا والوعي ثانيا بمعنى انكسار الارادة الوطنية ومتابعة مسار التاريخ المصري في واحدة من اصعب لحظات التحول التي احسبها مستمرة الى الان ، بدليل ان ذكراتنا مثقوبة ووعينا بالتاريخ عند الدرجة صفر فهذه الذاكرة اسقطت عن عمد ومع سبق الاصرار والترصد هذا الكاتب الكبير.

الأخبار – ٢١ ديسمبر ٢٠١٦

إبراهيم عبد المجيد يكتب: أبو المعاطي أبو النجا.. وداعا أيها الكاتب النبيل

أذكر حين أتيت إلي القاهرة أول مرة شابا في بداية السبعينات كانت فكرتي عن الأدباء أنهم كما يكتبون. علي نفس الدرجة من الجمال. أصابني الفزع في أول جلسة مع بعضهم حين وجدت أن حياتهم ليست ككتابتهم. حياة من غضب وسخط يكون أحيانا علي بعضهم البعض. شيئا فشيئا

تعودت علي ذلك. لكن كان دائما من بينهم من هو ليس كذلك. وهؤلاء كانوا ولايزالون أيضا كثيرين جدا. صارت لي علاقة بالجميع.

من هؤلاء الطيبين كبار الموهبة كان أبو المعاطي أبو النجا الذي كان أيضا غير حريص علي التجمعات الأدبية في المقاهي. كنت قرأت له بعض مجموعاته القصصية وأقرأ له مقالاته في المجلات المختلفة وبينها مجلة الهلال وفوجئت به يكتب عني وأنا لا أعرفه شخصيا. وحين ذهبت إليه أعطيه قصة نشرها علي الفور. أدركت من أول جلسة أنه ينأي بنفسه عن كل الصغائر ومهما تحدث الجالسون معه عن الآخرين في غضب يبتسم ولا يعلق إلا بالكلمة الطيبة. كنت أحيانا أشعر أنني أمام معلم عظيم في مدرسة يجب الوقوف تبجيلا له. إلا أن الظروف جعلته يسافر إلي الكويت للعمل سنوات طويلة. وبعد عودته كان لقائي به شهريا في مكتب مجلة العربي الكويتية حيث كنت أنشر بها. كانت سعادتي كبيرة في كل لقاء معه. لم يحدث مرة أن تحدث بسوء عن أحد. كنت أعرف أنه من جيل يوسف إدريس. هو والعظماء صبري موسي شفاه الله وسليمان فياض رحمه الله وبهاء طاهر أعطاه الله العمر الطويل. لقد أخذ يوسف إدريس الضوء كله مبكرا لكن لا أحد من هؤلاء قال شرا فيه ولا في أحد. عكفوا علي كتاباتهم التي كنت أتعلم منها ويتعلم غيري وتركوا وراءهم أعمالا ستظل خالدة وزاد صبري موسي بسيناريوهات الأفلام الرائعة.

كنت أمر كثيرا بظروف صعبة أجد أبو المعاطي أبو النجا يبتسم ويشجعني علي تجاوزها. كنت تعلمت الكثير من مجموعاته القصصية مثل مهمة غير عادية والناس والحب والابتسامة الغامضة وفتاة في المدينة وتعلمت الكثير جدا من روايته الفذة العودة إلي المنفي عن حياة عبد الله النديم وتضافرها مع القضية الوطنية وهي من أعظم الأعمال الأدبية التاريخية اختيرت عن جدارة كواحدة من أعظم مائة رواية عربية. ورغم عمله في المجلات الثقافية إلا أنه كان لا يحب الأضواء ويبتعد عنها. لا يبذل مجهودا إلا في الكتابة ويفتح قلبه لكل البشر. لم أكن أتصور أبدا أنه سيرحل يوما عنا. فهو لا يغيب عن خاطري رغم أننا في السنوات الأخيرة لم نعد نلتقي كثيرا. لقد آثر هو الابتعاد أكثر عن كل صخب الحياة الثقافية.

سافرت من شهرين إلي الخارج. إلي ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وراء كتبي المترجمة حديثا. انقطعت أخبار مصر عني كثيرا إلا فيما ندر. كنت أريد شيئا من الراحة. ففي حياتنا المصرية لا تنتهي المهازل والمآسي كل يوم وصارت الدنيا أكبر من قدرة العقل علي احتمالها أو فهمها. ولم أعرف أن العظيم أبو المعاطي أبو النجا مريض وأنه انتقل إلي المستشفي دون أي عناية من الدولة ولا اتحاد الكتاب المصري ولا وزارة الثقافة. شأنه في ذلك شأن الكثيرين ممن هم بعيدون عن الدولة رغم أنه لم يكن مشغولا بالسياسة.

وحين أتيت أول هذا الأسبوع عرفت الخبر الذي سبقه خبر وفاة الدكتور طارق الغزالي حرب الكاتب والطبيب الكبير. أحزنني هذا الخبر وفي طريقي إلي العزاء كنت اشعر بالحزن الشديد

أكبر من الاحتمال. لقد وجدت الكتاب يتحدثون عن إهمال الدولة لأبو المعاطي أبو النجا وأدليت بدلوي في أكثر من تحقيق صحفي حزينا مما يحدث من إنكار لهذا الكاتب العظيم مدركا أن هذا ليس بجديد فما أكثر من ضاعوا دون أن تبدي الدولة أي اهتمام بهم من الأدباء. قلت كان حزني شديدا في طريقي إلي عزاء الدكتور طارق الغزالي حرب وفي لحظة خفت. ما الذي يمكن أن يحدث أيضا. استيقظت في الصباح علي الخبر الأليم لرحيل أستاذي وأستاذ الأجيال أبو المعاطي أبو النجا. الذي ما إن قرأت الخبر حتي رأيته يقف أمامي مبتسما. يقرأ ما في يده حين يجلس وانتظر قراءته له. وظل ولايزال يقف أمامي وأراه كما هو بطلّته البهية.

صعب جدا أن تفارقني صورته. صعب أن تفارق كل من عرفه. حين نعيته علي صفحتي علي الفيسبوك أو تويتر جاءني الكثير من النعي من الكتاب العرب الذين عرفوه والذين تأثروا وتعلموا من كتاباته والذين لايزالون مندهشين من طيبته وحسن أخلاقه. الموت في النهاية علينا حق. لكن الحزن يملأ الفضاء ولو استطعت أن أمسك بالحزن لوضعته في مكان لا يخرج منه أبدا. لكن لن أستطيع ولا أحد سيستطيع. فقط نريد أن نري معاملة أفضل للأدباء في آخر أيامهم. ليس شيئا محترما كل هذا الإهمال لهم. كيف إنه لا مدارس بأسمائهم ولا محطات مترو ولا شوارع إلا مرة أو مرتين. ولا حتي قاعات درس في الجامعات التي تخرجوا فيها أو المدارس التي تعلموا فيها. رحمك الله أستاذي ومعلمي وسأظل أراك في الفضاء توسع لي مساحات الأمل دائما كما كنت.

جريدة المساء – الخميس ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦

محمد جبريل يكتب على البحري

"أبو المعاطي أبو النجا"

مع تعدد إسهامات محمد أبوالمعاطي أبوالنجا في حياتنا الثقافية. فإنه قد ظلم نفسه. وظلمناه. حين تواري دوره الفاعل بهذه الإسهامات التي شكلت تكوينا مهما في الوجدان العربي. أول مرة قرأت اسمه في مجلة "الرسالة الجديدة" التي كان يرأس تحريرها يوسف السباعي. قدم نفسه للسباعي في كلمات تقطر رقة: متي يتاح لي أن أكتب في المجلة؟ كتب أبو المعاطي في الرسالة. وفي غيرها من المجلات الثقافية. فيض من الإبداعات القصصية التي يصعب اغفالها في المشهد الثقافي منذ الخمسينيات. ورغم الحفاوة التي لقيتها رائعته "العودة من المنفي" عن حياة عبد الله النديم. فإنها لا تزال بعيدة عن التفات النقد. توظيف رائع لحياة قيادة مهمة في ثورة العرابيين. لكنها لم تحصل علي الموضع الذي تستحقه في الدراسات الأكاديمية. اقتصرت رسائل الماجستير والدكتوراه علي

أربع روايات تناولها الدكتور حلمي القاعود في كتابه الرائد عن الرواية التاريخية المصرية. ثم اعتبر الأكاديميون إعادة قراءة الروايات التي تناولها القاعود غاية المراد من رب العباد. وعانت رواية أبو النجا غربة بين الروايات التاريخية. أو التي توظف التاريخ. وجعل أبو المعاطي من برامج المنوعات في الاذاعة زادا ثقافيا. فلم تقتصر مواد الاذاعة غير السياسية علي المتعة والترفيه. وإنما أضاف إليها حصيلة معرفية لافتة في برامجه حول الأسرة البيضاء. وبين جيلين. وفنجان شاي. وجميعها قدمتها الاذاعية الكبيرة سامية صادق. ولطبيعة تلك البرامج فقد كان الجندي المجهول هو دور أبو المعاطي أبوالنجا. الدور نفسه يحسب لأبي المعاطي أبوالنجا منذ كلفه يوسف السباعي بإنقاذ مجلة "القصة" من إحدي عثراتها. أعاد منهجة المجلة. وأتاح للأصوات الموهوبة أن تحصل علي الفرص التي تستحقها.

اتصل بي في اليوم السابق لسفره إلي الكويت. قال إنه سيحاول توسيع مجال اسهاماته في مجلة "العربي" التي كانت - وما تزال في تقدير الكثيرين - أهم المجلات الثقافية العربية. ذلك ما فعله أبو النجا من خلال مشاركته في المجلة الكويتية. دعا كبار المبدعين والنقاد والمفكرين من أقطار الوطن العربي للكتابة في "العربي". وتحولت المجل بالفعل إلي مثل للمجلة الثقافية. وهو ما دفعني شخصيا للإلحاح علي أهمية أن تكون لنا مجلة تقاربها في المستوي. إن لم تفقها بحكم وفرة الطاقات المبدعة والمثقفة.

ظل أبو المعاطي أبو النجا قريبا من الفعل الثقافي. مبدعا ودارسا ومحررا. قدر ابتعاده عن الترويج الاعلامي. وحين عاني مرض الموت لم يشر الاعلام - كما يفعل مع الأقل موهبة وثقافة وتأثيرا - إلي تطورات حالته الصحية. حتي انتقل إلي رحاب الله. لعل الشعور بالذنب هو ما ينبغي أن يعانيه من أمتعهم إبداع أبو النجا. وأفادتهم تأملاته. وحصلوا علي فرص النشر بنظرته الواعية. وأغفلوا حقه في ريادة الرواية التاريخية !

بوابة الأهرام –٢١-١٢-٢٠١٦

محمد فايز جاد يكتب:

الراحل أبو المعاطي أبو النجا.. أخذته "نداهة" الصحافة.. وأنجز رائعة في عامي تفرغ

حياة هادئة عاشها القاص والروائي الراحل أبو المعاطي أبو النجا (١٩٣١-٢٠١٦) الذي رحل عن عالمنا أمس الأربعاء عن عمر يناهز ٨٥ عامًا، ورحيل هادئ أيضًا عن هذا العالم المضطرب، وما بين البداية والنهاية بعد عن الأضواء، لسبب أو لآخر.

كان لنشأة أبي النجا في ريف مصر أثر في تكوين شخصيته، وهو الذي نشأ في ريف إقطاعي يتجاور فيه الثراء الفاحش، والفقر المدقع، وتعلم تعليمًا دينيًا بدأ بحفظ القرآن الكريم في قريته، ثم الانتقال للمعهد الديني، وأخيرًا الالتحاق بمدرسة دار العلوم.

وعلى عكس أقرانه من الكتاب الذين ولدوا في الفترة نفسها لم يتأثر أبو النجا بالأقلام الغربية، التي كانت تخطو خطوات بعيدة للغاية عن تلك التي خطتها الأقلام العربية. ففي حين تأثر أقرانه بفيودور ديستويفسكي الروسي، والفرنسي مارسيل بروست، والأمريكي إرنست هيمنجواي، تأثر هو بالمازني والعقاد، وغيرهما من أعلام المدرسة "الرومانسية" في مصر، وهو ما سيلقي بظله على مسألة إدراجه ضمن تيار الحداثة من عدمه.

بدأ أبو النجا حياته الإبداعية من خلال كتابة القصص القصيرة التي كان يرسلها لمجلة "الرسالة"، تلك المجلة التي بدأ يتعرف من خلالها الكتب التي سيقرأها، وكان ذلك في الفترة من ١٩٤٩ حتى ١٩٥٢.

وبصدور مجموعته القصصية الأولى "فتاة في المدينة" وصفها النقاد بأنها كتابات فكرية، أو كما يصفها النقاد الحداثيون الآن بالذهنية، وهي سمة مميزة في ذلك الوقت تبعدها عن الاتجاه الرومانسي الذي كان يتزعمه المنفلوطي والرافعي وجبران خليل جبران، ثم تأتي "ابتسامة غامضة" التي نقلتها إلى عالم الكتابة النفسية، ورسخت اسمه بين القراء والنقاد ككاتب للقصة النفسية، الذي يسعى للغوص داخل شخصياته لاستكناه ما تخفيه ولمعرفة ما يضطرم بداخلها.

كانت فترة ظهوره إذن في منتصف الخمسينيات، ولكن مع بداية الستينيات يلمع نجم الراحل يوسف إدريس (١٩٢٧-١٩٩١) الذي تزعم تيار الواقعية الاجتماعية في القصة القصيرة، وتربع على عرش القصة القصيرة لعقود، بل ولا يزال اسمه حتى الآن محفوظًا كرائد للقصة، وكاسم قطع شوطًا بعيدًا فيها لم يكن من السهل على الكتاب الجدد أن يبلغوه، هذا بالطبع بعد أن أزاح الكتاب القدامى عن الساحة باهتمام نقدي وجماهيري كبير.

لذلك اصطدمت تجربة أبي النجا في القصة بظاهرة يوسف إدريس خلال فترة الستينيات. كان ذلك قبل أن تعصف بالوطن العربي هزيمة يونيو ١٩٦٧، التي أحدثت هزة كبيرة في الوطن

المأزوم، ليس على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري فحسب، بل أيضًا على المستوى الثقافي والفكري.

وتمخضت هذه الفترة عن كتابات في نقد الفكر العربي سواء القومي أو الديني لتظهر كتابات جورج طرابيشي في نقد الفكر العربي والإسلامي، وكذلك كتابات صادق جلال العظم –الذي رحل عن عالمنا منذ أيام- وعلى رأسها "نقد الفكر الديني"، و"دفاعًا عن المادية والتاريخ."

وفي حين كان هذا موقف الكتاب العرب عمومًا، بخلاف الموقف الذي من الممكن أن يوصف بالقفز من المركب الغارقة، كان موقف أبي النجا من "النكسة" مختلفًا، ليكتب "العودة إلى المنفى) ١٩٦٩، تلك الرواية التي صنفت من بين أفضل مائة رواية عربية، هذه الرواية تستعيد حياة المناضل الراحل عبد الله النديم، أحد أبرز الأسماء في الثورة العرابية.

وكأن أبا النجا، الذي طالع بعينيه سقوط حلم ثورة يوليو، باستعادته حياة النديم والثورة العرابية المغدورة، يبكي الأحلام التي تهدر إما على يد خونة داخليين، أو طامعين خارجيين.

وكما هو الحال في الجيل الذي عاصر النكسة ومر بمرحلة الانفتاح الساداتية أن يمر بتجربة الهجرة إلى الخليج، التي عاشها أقرانه ممن مروا بالظروف نفسها، والذين رأوا، إما في الاتحاد السوفييتي أو غرب أوروبا أو في بلاد البترو دولار، الخليج، ملاذًا من وطن يمر بمتغيرات جنونية عصية على الفهم.

هكذا بدأ أبو النجا رحلة الاغتراب في بلاد النفط ليعمل في "العربي" الكويتية، التي صارت إحدى أهم الصحف الثقافية في الوطن العربي، لتغويه نداهة الصحافة، الأمر الذي أدى إلى أن يصبح مقلًا في كتاباته، لدرجة تجعل النقاد يختلفون في إمكانية وصفه بالكاتب الحداثي، على عكس أقرانه من الكتاب الذين أتيحت لهم فرصة مراجعة أعمالهم، وتطوير أدواتهم، والدخول في مدارس جديدة جعلت من المدارس التي نهجوا نهجها شيئًا من التاريخ، على سبيل المثال نجيب محفوظ، رائد الواقعية الاجتماعية، الذي قدم في النصف الثاني من حياته نصوصًا يمكن وصفها بالحداثية بشدة.

وبالحديث عن محفوظ، ثمة ما يجمع بين الشخصيتين، ولعلها آفة تصيب الكتاب ومشاريع الكتاب الذين تبشر مواهبهم بإمكانات ممتازة، لا تحتاج سوى للرعاية، فكما أعلن محفوظ في عدة عوارات أنه لولا الوظيفة الحكومية لكان له شأن آخر، فقد أعلن أبو النجا في حواره الأخير قبل رحيله الذي نشرته جريدة القاهرة أن منحة التفرغ لعامين ساعدته في إنهاء روايته الشهيرة، التي دخل بها التاريخ بعد تصنيفها ضمن المائة رواية الأفضل عربيًا، الأمر الذي يجعل من المشروع التساؤل: وماذا لو حظي بسنوات أطول للتفرغ؟

ومثل أبي النجا كان إبراهيم أصلان، الذي عمل ساعيًا بالبريد لفترة من حياته، والذي أنجز رائعته "مالك الحزين" خلال منحة التفرغ التي حصل عليها بشق الأنفس. ثم إذن مواهب تظهر دائمًا وتبشر بإمكانية ظهور أسماء كبيرة، شرط حصولها على الرعاية اللازمة لتنميتها، فهل تحصل عليها؟

الميدان - ٢٤-١٢-٢٠١٦

حسام إبراهيم يكتب:

أحزان ثقافية

لئن حل يوم العشرين من الشهر الأخير في عام ٢٠١٦ ليحمل النبأ الحزين عن رحيل المبدع المصري ابو المعاطي ابو النجا فان هذا العام الذي يستعد للرحيل شهد ايضا رحيل الشاعر الكبير فاروق شوشة فيما كان من الدال وسط هذه الأحزان الثقافية ان تكون هناك بعض التقاطعات واوجه التشابه بين المبدعين المصريين الكبيرين.
واذ تتوالى الطروحات والمقالات حول ابو المعاطي ابو النجا صاحب رائعة "العودة الى المنفى" فقد حق وصفه "بالمثقف الباحث عن المعنى" كما يحق وصفه "بصاحب الأيادي البيضاء" على العديد من الأدباء الذين كان ينشر انتاجهم الابداعي دون أي اعتبار الا اعتبارات الجدارة الابداعية.وهاهو الروائي والقاص السكندري ابراهيم عبد المجيد يشير لحقيقة ابو المعاطي ابو النجا عندما يستعيد فترة مجيئه للقاهرة شابا في مطلع سبعينيات القرن الماضي قائلا :"كانت فكرتي عن الأدباء انهم كما يكتبون على نفس الدرجة من الجمال.اصابني الفزع في اول جلسة مع بعضهم حين وجدت ان حياتهم ليست ككتاباتهم.حياة من غضب وسخط يكون احيانا على بعضهم البعض.شيئا فشيئا تعودت على ذلك لكن كان دائما من بينهم من هو ليس

كذلك.وهؤلاء كانوا ولايزالون ايضا كثيرين جدا.صارت لي علاقة بالجميع.من هؤلاء الطيبين كبار الموهبة كان ابو المعاطي ابو النجا."

ويضيف ابراهيم عبد المجيد :"فوجئت به يكتب عني وانا لااعرفه شخصيا وحين ذهبت اليه اعطيه قصة نشرها على الفور وادركت من اول جلسة انه ينأى بنفسه عن كل الصغائر ومهما تحدث الجالسون معه عن الآخرين في غضب يبتسم ولايعلق الا بالكلمة الطيبة.كنت احيانا اشعر انني امام معلم عظيم في مدرسة يجب الوقوف تبجيلا له."

وينوه هذا الروائي والقاص المصري الكبير بأنه تعلم الكثير من المجموعات القصصية لأبو المعاطي ابو النجا مثل "مهمة غير عادية" و"الناس والحب" و"الابتسامة الغامضة" و"فتاة في المدينة" فيما يتابع قائلا :"وتعلمت الكثير جدا من روايته الفذة العودة الى المنفى"..وواقع الحال ان رواية "العودة الى المنفى" التي تتناول حياة المثقف المناضل عبد الله النديم واختيرت عن جدارة ضمن قائمة افضل ١٠٠ رواية عربية في القرن العشرين تشكل درة التاج في الانتاج الابداعي لأبو المعاطي ابو النجا فيما يكشف توقيت نشر هذه الرواية لأول مرة عام ١٩٦٩ في غمار حرب الاستنزاف عن مثقف مبدع منحاز لنضال وطنه لتحرير الارض المحتلة والمقاومة ودحر كل اصوات اليأس والانهزامية.

واذ بدأ في نشر ابداعاته المبكرة في مجلة الرسالة الشهيرة في التاريخ الثقافي المصري في اربعينيات وخمسينيات القرن الماضي ولفت الانظار واثار اهتمام الناقد الشهير انور المعداوي فقد تفوق ابو المعاطي ابو النجا في كتابة القصة النفسية التي تعبر عن مكنون المشاعر الانسانية حتى وصفه بعض النقاد بأنه افضل من "كتب القصة النفسية بالعربية"..ومن هنا سادت حالة من الأسى العميق بين الجماعة الثقافية المصرية والعديد من المثقفين العرب لفقد الأديب الكبير ابو المعاطي ابو النجا المولود في العام ١٩٣١ و الذي تخرج من كلية دار العلوم ليبدأ حياته العملية محررا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة غير أنه شد الرحال إلي الكويت في منتصف السبعينيات من القرن الماضي حيث ترأس القسم الثقافي و الأدبي في مجلة العربي حتى عام ١٩٩٠ ثم ترأس مكتب المجلة العريقة في القاهرة قبل تقاعده ليتفرغ لنشر دراساته ومقالاته النقدية.

وقد ترك القاص والروائي أبو المعاطي أبو النجا ثماني مجموعات قصصية منها : " فتاة المدينة " و" الناس والحب " و " مهمة غير عادية " و " الجميع يربحون الجائزة " و"الوهم والحقيقة" و"في هذا الصباح" وروايتين هما " العودة إلي المنفي " و " ضد مجهول " فضلا عن كتابه النقدي " طرق متعددة لمدينة واحدة " وتناول فيه ابداعات عربية فضلا عن المصرية مثل رواية " البحث عن وليد مسعود" للروائي العراقي جبرا إبراهيم جبرا ورواية " النهايات" لعبد الرحمن منيف ورواية أصوات لسليمان فياض و ثلاثية " حكاية بحار" للروائي حنا مينا، و رواية " بيروت .. بيروت" لصنع الله إبراهيم و" طرف من خبر الأخرة " لعبد الحكيم قاسم، و رواية " السيد من حقل السبانخ " لصبري موسي، و" ليلة القدر" للروائي المغربي الطاهر بن جلون و"التجليات" لجمال الغيطاني.

وعن بعض اعمال ابو المعاطي ابو النجا قال الناقد الراحل الدكتور شكري عياد في كتابه "القفز على الأشواك": "إن الكاتب في علاقته بالواقعية يحمل في داخله أسطورة الاعتقاد بوحدة

الوجود، وأن هذه الأسطورة رافقته من أرض الواقعية إلى أرض الحداثة" وساق الناقد مثلًا على امتزاج الواقعية عن الكاتب بالأسطورة بقصة "حارس المقبرة" في مجموعة "فتاة في المدينة" التي قدم لها تحليلًا إضافيًا، كما أشار إلى غيرها من القصص في السياق ذاته.وبهاء الكلمة جمع بين ابو المعاطي ابو النجا وصديقه الحميم سليمان فياض الذي قضى في شهر فبراير من العام الماضي تماما كما تدخل بعض كتاباتهما في مجال التاريخ الثقافي والمقاومة بالمعنى الشامل وولع مواجهة القبح والتخلف مع انحياز باسل للشعب المصري والأمة العربية.

ولن يختلف الأمر كثيرا في الجوهر مع الشاعر الكبير فاروق شوشة الذي قضى في الرابع عشر من شهر اكتوبر الماضي عن عمر يناهز ال٨٠ عاما فيما حق للشعر ان يبكي احد مبدعيه الكبار وحق للغة ان تنتحب لرحيل "صاحب لغتنا الجميلة" وهو ايضا صديق للراحل ابو المعاطي ابو النجا وكان يكتب بانتظام في مجلة العربي الثقافية عن روائع لغتنا الجميلة.وعندما فاز هذا العام بأهم جائزة ثقافية مصرية في الآداب وهي "جائزة النيل" قيل بحق ان الجائزة الكبرى قد عرفت طريقها لمبدع حلق في سماء الأبداع المصري والعربي على مدى اكثر من نصف قرن فيما تكشف الجولة المتمعنة في مسيرته الثرية عن رؤى هامة في قضايا الشعر واللغة والنقد ونظرات متبصرة في سياقات التاريخ الثقافي وولع بالجمال يقابله عداء طبيعي للقبح.

وفاروق شوشة بصوته العذب الحنون هو ايضا الاعلامي المتفرد والذي استخدم الاعلام كمنصة ابداعية لصالح "اللغة الجميلة" وكأنه الضوء الجميل ينساب بين الناس مبشرا بالجمال ومدافعا عن كبرياء القصيدة بقدر مابحث دوما عن "الجمال في الانسان والطبيعة والفن والحياة". وواقع الحال ان اي جولة متمهلة بعض الشيء في عالم فاروق شوشة- الذي سيبقى متوهجا رغم رحيله عن الحياة الدنيا- كفيلة بمتع ولذائذ متنوعة ومتعددة فضلا عن كثير من الدروس والقيم وفي مقدمتها قيمة الاخلاص للابداع والاخلاص كاعلامي للوطن والشعب شأنه في ذلك شأن ابو المعاطي ابو النجا.

وابن "قرية الشعراء" في محافظة دمياط كان من المؤمنين بأهمية الدور الثقافي المصري في المحيط الاقليمي وعلى امتداد الأمة العربية والناطقين بلغة الضاد ومن ثم ففاروق شوشة هو صاحب الدعوة المخلصة لاستعادة مجد مصر الثقافي والابداعي..وصاحب "احلى ٢٠ قصيدة حب" تخرج من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة التي تخرج منها ايضا الراحل ابو المعاطي ابو النجا ونال مثله دبلوم من كلية التربية بجامعة عين شمس.

ولئن بقى اسم الشاعر والاعلامي الكبير فاروق شوشة مقترنا بأروع واشهر البرامج الاذاعية والتليفزيونية ذات المضمون الثقافي وفي طليعتها "لغتنا الجميلة" و"امسية ثقافية" فانه شغل خلال مسيرته الثرية مناصب هامة في الأبنية والكيانات الثقافية المصرية من بينها رئيس اتحاد كتاب مصر ورئيس جمعية المؤلفين والملحنين كما شغل منصب الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة والمعروف "بمجمع الخالدين" وهو المجمع الذي بدأ فيه ابو المعاطي ابو النجا مسيرته الثقافية..

ونظرة فاروق شوشة لمجمع الخالدين تنطلق بوضوح من المنظور الثقافي الرحب ودعا للدفع في اتجاه "وظيفية المجمع الاجتماعية ومسؤوليته وانشطته الثقافية واهمية انفتاحه على الأخرين

والحوار معهم واقامة علاقة حميمة مع المؤسسات المعنية باللغة وخاصة في التعليم والاعلام وتطوير مجلة المجمع لتتجاوز نشر ابحاث محكمة تستخدم في الترقيات الأكاديمية الى نشر ابحاث حية عن قضايا ساخنة" كما طالب بأن تكون لمجمع اللغة العربية "سلطة لغوية" تتابع وتقيم مايحدث في المجتمع كله من اداء لغوي ومن ثم فقد رأى ان هناك حاجة في هذا السياق "لوثيقة اعلان الحقوق اللغوية."

واذا كان البعض يدرج ابو المعاطي ابو النجا ضمن جيل الستينيات في الحياة الأدبية والثقافية المصرية فلفاروق شوشة نظرات نقدية عميقة في بعض المقولات التي كادت تتحول الى مسلمات في الحياة الثقافية والأدبية المصرية والعربية مثل مقولة او فكرة "الأجيال" فهو لايعتبرها فكرة صحيحة ويضرب المثل بما يسمى بجيل الستينيات في مصر والذي يضم اسماء مثل محمد عفيفي مطر وامل دنقل ومحمد ابراهيم ابو سنة وبدر توفيق وغيرهم.ففاروق شوشة لايرى بين احدهم والآخر اية مشابهة من اي نوع على الاطلاق فيما يتعلق "باللغة الشعرية وطرائق التصوير" فيما نفى عن تلك الأسماء التي وضعت معا ضمن ماسمي بجيل الستينيات صحة ماقاله بعض النقاد حول وقوعهم في شراك التقربرية والخطابية والمباشرة معتبرا ان معطيات الواقع العربي العصيب تتطلب "تعرية كاملة."

سلام على اثنين من مبدعي الوطن نثرا وشعرا..سلام على من تحولا لهالة حب حول جبين المصريين وكل العرب..ورغم الأحزان لرحيل فاروق شوشة وابو المعاطي ابو النجا فان ابداعهما لن يموت وانما باق في جذر الذاكرة الثقافية المصرية واديم الأرض الطيبة التي ستنجب دوما المزيد من المبدعين جيلا تلو جيل..سلام على مصر صانعة المبدعين.

أخبار الأدب - ٢٤ ديسمبر ٢٠١٦

كتب: شعبان يوسف

أبو المعاطي أبو النجا .. المستغني

كتب الصديق العزيز الدكتور حسين حمودة علي صفحتة بموضوع التواصل الاجتماعي فيس بوك ،وذلك فور رحيل الكاتب الكبير أبو المعاطي أبو النجا ناعيا إياه، وتحت عنوان يحمل أكثر من معني "رغم الطيبة.. أو بفضلها":(زاملت الأستاذ أبو المعاطي أبو النجا، لسنوات في "لجنة القصة" بالمجلس الأعلي للثقافة، وصادقته خلال مكالمات تليفونية مطوّلة، لسنوات أيضا، وفي التجربتين كان لي بمثابة "أب" طيّب إلي أقصي حدود الطيبة.. وفي يوم ما قال لي أحد الكتّاب "الراحلين": "أبو المعاطي مش ممكن يكون كاتب كبير..الكاتب الكبير لازم يدرك الشرّ في العالم ..والطيبين أوي زي أبو المعاطي مش ممكن يدركوا شرور العالم ..".. أنا لم أعلّق ،

ولكني فكرت في "غيرة أبناء الكار الواحد".رحم الله الأستاذ أبو المعاطي ابو النجا، كان إنسانا جميلا ،وكاتبا جميلا، كبيرا رغم طيبته، أو بفضل طيبته).
بهذه الفقرة الموجزة والمكثفة والكاشفة بقسوة لجانب من المثقفين والكتّاب والحياة الثقافية ، وكذلك لطبيعة كاتب كبير حقا عاش في هدوء عميق، ذلك الهدوء الذي لا يعني أن إبداعه كان قليل القيمة، ذلك الهدوء الذي يختلف عن الصخب، ويخاصم الجلبة التي يحدثها فاقدو القيمة أساسا، وهم من جلّاس المقاهي الثرثارين الشتّامين، والذين يروجون الإشاعات ليلا ونهارا، هؤلاء المتربصون لهذا أو لذلك دون إستثناءات.
وتلك الإشاعة التي تقول بأن الطيبة تخاصم الإبداع، لم تكن إلا إحدي المكائد التي تضع لأبي المعاطي سياجات خاصة، وأكاذيب نقدية ركيكة، ولو طبقناها علي آخرين علي المستوي المحلّي أو العربي أو العالمي، لن تنجو من التخطئ الحتمي ، ولدينا نموذج صارخ ، وهو الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور الذي كان ينضح نبلا وجمالا وطيبة، وما من أحد كان يذهب إلي مكتبه، ويعود خاسرا ، ولذلك وقع عبد الصبور بين مخالب الساسة والسياسة غير الطيبة، ولا النبيلة، فأفسدت له حياته، حتي رحل بسببها.
وإذا كانت تلك الإشاعة لم تنل من أبي المعاطي، فهناك إشاعة أخري تختلف نسبيا، وهي إشاعة نقدية وليست شخصية ، تلك الإشاعة التي وجدت لها ناقدا ونظرية وكتابا، وأطلقها أحد النقاد الأكاديميين المحترمين، أعني الدكتور سيد حامد النساج، والذي كتب كتاب "الحلقة المفقودة في القصة القصيرة المصرية"، وصدر في أغسطس عام ١٩٩١، وكان الكتاب الأول في سلسلة "كتابات نقدية" ، والتي مازالت تصدر حتي الآن، وتناول الكتاب سبعة كتّاب، وهم عبدالله الطوخي، وأحمد عادل، ومحمد كمال محمد، وسليمان فياض، ومحمد أبو المعاطي أبو النجا، وفاروق منيب، وعبد الفتاح رزق.
وربما يكون اجتهاد النساج يعود إلي عدم تحقق بعض الكتّاب علي المستوي الإعلامي، ولأن النساج كان ناقدا يعتمد علي فكرة الدأب البحثي، ذلك الدأب الذي يخلو من عمق نقدي وفكري شامل، ذلك العمق الذي يستطيع أن يري الظواهر الإبداعية حسب رؤية أشمل وأدق، فهو في مستهل كتابه يقول:"يحاول هذا البحث الموجز، الاقتراب من العالم الفني، لعدد من كتّاب القصة القصيرة المصرية، يمثلون ما اتفق البعض علي تسميته بجيل الوسط، في حين ذهب آخرون إلي اعتبارهم "الجيل المدشوت" وكلهم يجمع علي عدم احتفال الدراسات الأدبية والنقدية بهم، دون سبب معقول، ومن غير مبررات موضوعية.."، ويحاول د النساج -رحمه الله- تأصيل مصطلح "الحلقة المفقودة"، بشتي الوسائل ، ويجلب أسبابا من هنا ومن هناك ، منها -علي سبيل المثال- اشتغال بعض هؤلاء بالصحافة، ويضع بينهم صبري موسي وعبد الله الطوخي وصالح مرسي وآخرين ، ولا نستطيع أن نقول بأن هؤلاء كانوا "مدشوتين" بأي حال من الأحوال، وللأسف شاع المصطلح، مما أغضب كاتبا كبيرا مثل سليمان فياض، وكتب مقالا تحت عنوان "أوهام الحلقة المفقودة".
وفيما يخصّ أبو المعاطي أبو النجا، كتب النساج يقول:" يظل محمد أبو المعاطي أبو النجا حريصا علي الاحتفاظ بتوازنه الفكري بين التيارات والموجات المتلاطمة، وبقيمه وأخلاقياته الريفية وسط ركام من اللاخلق واللاقيم، وبرؤيته الموضوعية لواقع الحياة في مجتمعه، في

مناخ ثقافي معبأ بادعاءات البطولة والزعامة ممن لا يحسنون إلا الكلام، معتمدا في هذا علي أصالة فنية ومعرفة جيدة بالتراث، وحرص علي الاتصال الحي بواقعه الاجتماعي".
مقدمة جميلة، تبشّر بأننا سنجد احتفالا جميلا بأبي المعاطي، ولكننا نجد نقدا مدرسيا وأكاديميا، وللراحل ابراهيم أصلان تعبيرات ساخرة حول تلك النقود المدرسية يعرفها أصدقاؤه، وعلي سبيل المثال نجد أنه يقول عن رواية "العودة إلي المنفي"، وهي الرواية العمدة في المنجز السردي لأبي النجا:"..فهو إن أراد أن يطرح فكرة الثورة والثوار ، راح ينتقي من تاريخنا النضالي شخصية ثائرة، ليكتب عملا فنيا معقولا .."، وتعبير"معقولا" هنا، يحاول سلب القيمة العظمي عن تلك الرواية التي تركت آثارا عميقة في الرواية التاريخية، وكأن النساج يخشي أن يقول وصفا آخر للرواية، فيحسبه التاريخ عليه، لذلك راح يطلق ذلك الوصف المحافظ، والذي لا يعني أي شيء في النقد التحليلي ولا النقد التقييمي علي الإطلاق، هذا عدا كمية المصطلحات التي راح يطلقها وينفيها في الوقت نفسه، فضلا عن أنه يعتبر أن دراسته التي تقدم بها لنيل الدكتوراة عام ١٩٧٨ عن اتجاهات القصة القصيرة في مصر ، قد تركت آثارا عميقة فيما بعد في تجويد "أبو المعاطي أبوالنجا" لكتابته، حيث يقول :"..وليس من شك في أنه أفاد مما كتب عنه بعد صدور مجموعته الأولي، من حيث الطول النسبي الذي وسمت به القصص، وسيطرة الفكرة سيطرة تامة.."، والنساج يزعم بأن دراسته جاءت ، وكأن أبو المعاطي لا يعرفه أحد ، ولم تكن كتاباته منتشرة.
لا أريد أن أستغرق في مناقشة فرضيات د النساج، ولكنني لاحظت أن البعض راح يستخدمها، دون مناقشتها وتقليبها علي عدة وجوه نقدية صحيحة، وإذا كان النساج يقول بأنه كتب عن أبو المعاطي، ولم يكن أبو المعاطي يعرفه أحد في ذلك الوقت، فذلك افتراء كبير، لأن محمد أبو المعاطي أبو النجا، كان يكتب وينشر قبل أن تعرف الحياة الأدبية والثقافية والجامعية د. حامد النساج، حيث أنه -أي أبو النجا- بدأ نشر قصصه في مجلة "الرسالة" منذ عام ١٩٤٩، وكان عمره آنذاك- ثمانية عشر عاما فقط،وكانت المجلة تكتب "بقلم القصصي الشاب محمد أبو المعاطي أبو النجا"، وبالتحديد كانت القصة الأولي تحت عنوان "خوفا من أبيه"، ونشرت في مايو ١٩٤٩، وجدير بالذكر أن أبو المعاطي نشر أكثر من عشرين قصة في مجلة الرسالة ، ولم يدرجها في مجموعته الأولي "فتاة في المدينة"، وأعتقد أنها قصص تعطي بانوراما واسعة وعميقة لذلك الكاتب الشاب الموهوب ، ولابد أن نشير هنا إلي أن نشر هذه القصص تزامن مع نشر قصص يوسف ادريس، بل قبله، حيث أن يوسف ادريس نشر قصته الأولي "أنشودة الغرباء" عام ١٩٥٠.
وبعد مرحلة مجلة الرسالة، بدأ أبو المعاطي ينشر قصصه في مجلة "الآداب" اللبنانية ، وفي أعدادها الأولي، إذ نشر قصته "أحلام .. تحت الحذاء" في مايو ١٩٥٣، وتوالت بعد ذلك قصصه في مجلة الآداب، والباحثون المتابعون يعتبرون أن مجلتي "الرسالة" المصرية و "الآداب" اللبنانية، كانتا أهم مجلتين في ذلك الوقت، ومن المعروف أن كتّابها كانوا من أهم كتّاب الوطن العربي، ولذلك لا أعرف من أين جاء الوهم الذي يقول بأن "أبو المعاطي أبو النجا" كان كاتبا مغمورا، خاصة أن مجموعته الأولي "فتاة في المدينة"، والتي صدرت عام ١٩٦٠، قدّمها أهم النقاد آنذاك، وهو أنور المعداوي، ولاقي صدورها ترحيبا نقديا واسعا،

وكتب عنها نقاد مرموقون، وعلي رأسهم الناقد فؤاد دوارة، والذي قام بتحليل واف، وبعد رحلة نقدية عميقة في قصص المجموعة، كتب دوارة يقول:(..إنك في صحبة هذا الكاتب الشاب تحس أنك مع فنان أصيل متأن، فلا أثر للعجلة من قصص المجموعة ..إنه أشبه مايكون بالغازلة الماهرة التي تجمع خيوطها الدقيقة في صبر وأناة لتصنع منها في النهاية عملا رائعا يبهر العيون ..كذلك -أبو المعاطي أبو النجا- يعكف علي تفاصيل الحياة الدقيقة يجمعها في دقة وصبر ودون عجلة ليخرج في النهاية بقصة جميلة تفيض بالشعر وصدق الملاحظة..).
الشواهد علي مساهمة "أبو المعاطي أبو النجا" في الحياة الثقافية والأدبية بعمق وكثافة وتأثير ومعني -منذ زمن بعيد- كثيرة جدا، ولو حاولت الاستفاضة فيها سأجد عشرات الشواهد، ولكنه كان ينأي بنفسه عن تلك المشاحنات والمزاحمات التي تملأ فضاء الأدب والأدباء، وربما كان مستبعدا، ولا يتحايل بالوسائل الخبيثة للأدباء، حتي أنه لم يستثمر موقعه في مجلة "العربي" الكويتية لحسابه الأدبي، مثلما فعل كثيرون، ومازالوا يفعلون حتي الآن، أي العمل بفرضية "أنا أنشر لك، وأنت تكتب عنّي، أو تروّج لي"، وهذه فرضية وصلت إلي حد القانون، ذلك القانون الذي يعرفه الجميع عند كثير من المراسلين ومدراء مكاتب الصحف العربية، ومن يعرف أبو المعاطي أبو النجا يعرف أنه كان يلّح علي الكتّاب ذوي الكفاءات، أن يكتبوا في المجلة، ويعتبر أن إسهاماتهم كرم منهم، ويقدم لهم الشكر ، ولا يتصل بأحد إلا وكان يحرّضه علي الكتابة، أو يخبره بوصول المكافأة، أو يتداول معه بعض الأحاديث الثقافية التي تخرج عن حدود الشرور.
وأعتقد أنه كان قانعا بذلك البعد أو الاستبعاد ، خاصة أن نيّة الترويج والتسويق كانت معقودة سلفا- لكتّاب بعينهم، هؤلاء الكتّاب الذين استقطبتهم السلطة، فغازلوها، وارتموا في أحضانها، وخدموها بكل طاقاتهم، ولا أشكك في أن تلك الخدمات كانت مفتعلة، ولكنني أعني بأن تلك الخدمات التي قدمها مبدعون للسلطة السياسية، خدمتهم هم أيضا، ولا أعني أن هؤلاء كانوا قليلي الموهبة، بل كانوا أصحاب مواهب عظيمة، ففي الشعر كان صلاح عبد الصبور وصلاح جاهين، وفي الرواية كان يوسف السباعي، وفي القصة القصيرة كان يوسف إدريس، وفي الصحافة طبعا- كان محمد عودة وأحمد عباس صالح وغيرهم.
وفي سياقنا هذا، سنجد يوسف إدريس الذي عمّت شهرته الآفاق، وانشغلت بها الحياة الثقافية، والسلطة السياسية علي حد سواء، للدرجة التي لم تسمح بوجود آخرين، إلا في الحدود الدنيا، وكل كاتب كان له سقف معين، وعليه عدم تجاوزه، لذلك كان كل كتّاب القصة في جانب، ويوسف إدريس في جانب آخر ، وحده، يذهب إلي مؤتمرات ، وتتم ترجمة كتبه إلي جميع اللغات، وتقوم علي قصصه دراسات أكاديمية، يذهب إلي مهمات سياسية خاصة إلي الجزائر وغيرها، تمنحه الدولة رحلات ليقابل كتّابا عالميين مثل جان بول سارتر، ودورينمات وغيرهم، أما الآخرون فلم يحظ أي منهم بأي شكل من أشكال الاهتمام تلك علي وجه الإطلاق.
ومن هنا آثر أبو النجا ومن مثله ، أن يكتب ويجوّد، ويبدع، دون الزحام، أو البكاء علي أشياء لا تخصّ الإبداع كما يري ويعرف، وأعتقد أن أبو النجا كان أكثر هؤلاء زهدا وبعدا، للدرجة التي نستطيع أن نقول عنه "المستغني"، وهناك فرق كبير بين المستغني والمستبعد ، لذلك فهو ظلّ دون شلّة،ودون آلة سياسية تعمل كرافعة له ومروجة لإنتاجه الأدبي، ودون ضجيج هنا أو هناك، وكان بعيدا بالفعل عن مناخات التلوث، وبمناسبة الطيبة والشر ، كتب مقالا في مجلة

"الهلال" تحت عنوان "حكاية عن سليمان فياض"، ولا بد أن ننوّه إلي أن سليمان فياض وأبا المعاطي، كانا توأمين ثقافيين، التقيا في مدينة الزقازيق، وسوف نوضح بعض أطراف تلك العلاقة، ولكن مقال أبي النجا يتحدث عن أنهم ،أي الصحبة الطيبة وحيد النقاش وسليمان فياض وغالب هلسا وغيرهم، ويقول أبو النجا، أن غالب هلسا كانت له مقولة عن سليمان تقول بـ"أن سليمان فياض كان يحاول أن يكون شريرا طوال الوقت، ولكنه دائما يفشل"، ولذلك في تلك الجلسة التي كانت في صيف عام ١٩٥٦ أجري غالب اختبارا هزليا، افترض غالب أن كل هؤلاء تزوجوا، وكل زوجة من هؤلاء سوف تقوم برحلة إلي بلد ما، وعلي كل واحد من هؤلاء أن يكتب في الورقة السريّة اسم من يأمن له لكي يكون مصاحبا لها في تلك الرحلة، وكتب الجميع -دون سليمان طبعا- أن ذلك الشخص هو سليمان فياض، ذلك الطيب والمأمون الجانب.
ونعود إلي علاقة أبي المعاطي بسليمان فياض، والتي بدأت في عقد الأربعينيات في مدينة الزقازيق، والتي جاءها سليمان لكي يدرس في المعهد الديني الأزهري، ذلك المعهد الذي التحق به أبو المعاطي، وكان سليمان يسبقه بعام دراسي، وبسبب علاقة عاطفية حدثت لسليمان، رسب في السنة الثالثة، وهنا قابل أبا المعاطي فيقول: "..والتقيت أثناء حصص الدراسة بصديق نحيل، أسمر ، واسع العينين، تقوست كتفاه لطوله ونحوله، يتابع الدروس باهتمام ونظام، بينما ينيّمني صوت شيخي الرتيب وحركاته المهرجة خلال منافسة في كتابة موضوع تعبير عن -الحرب والسلام- تعرفت إليه، أثار فضولي وأعجبني ولم أحبه، وبادلني نفس الشعور، وراء عالمه المنظم الأنيق شئ مثير مرهق لمراهق منطو مثلي، يهزّ صمته صخب المدينة، ويغرقه في الفوضي ، اسمه أبو المعاطي أبو النجا، بيننا دارت مناقشة سياسية في الطريق، لم يلتق فيها انفعالي بهدوئه، ويسترسل سليمان في سرد وقائع كثيرة بينه وبين أبي النجا، تلك الوقائع التي دارت بين مدينتي الزقازيق والقاهرة، وخاضا معا غمار الحياة الثقافي ، والتقيا أولافي القاهرة مع فاروق شوشة وبهاء طاهر ووحيد النقاش ورجاء النقاش الذي اصطحبهم جميعا ليكتبوا في مجلة الآداب، إذ أن رجاء كان بمثابة مراسلها في القاهرة، وكان أنور المعداوي هو الذي رشح رجاء النقاش لكي يتعاون مع سهيل ادريس في مجلة الآداب.
لم يكن ترشيح محمد أبو المعاطي أبو النجا للكتابة في مجلة الآداب، ترشيحا مبنيا علي أي أبعاد شخصية، أو ينطوي علي أي نوع من المجاملات المعهودة، ولكن رصيده الثقافي والإبداعي كانا مؤهلين له، لكي يحظي بتلك المكانة الثقافية، حيث أن حضوره الثقافي بشهادة كل رفاقه، كان ملحوظا، كذلك كان قد نشر عددا من القصص في مجلة الرسالة وغيرها، وكان ذلك يكفي لكي يكون كاتبا مؤثرا ومرموقا في أي مجلة عربية أو مصرية.
ولم تكن قصص أبي المعاطي ساذجة، أو كتابات لكاتب ناشئ، ولكنها كانت تحظي بقيمة إبداعية ولغوية وبنائية كبيرة ، وذلك بالنسبة لكتّاب جيله، وعلي رأسهم يوسف إدريس، ولو تناولنا قصته الأولي "خوفا من أبيه"، فهي تتحدث عن شاب صغير ، ضاعت ساعته في المدينة، مما سبّب له إزعاجا شديدا، وخوفا كبيرا من أبيه، وخرج من مدرسته، وقبل أن يعود لمنزله، راح يتفقد بعض المحلات التي تبيع الساعات، وظلّ يبحث عن واحدة مثلها، وبالفعل اشتري بمصروفه ساعة أخري، وإن كانت مختلفة عن الساعة الأصلية، ولكن الوالد لن يدرك ذلك الفارق، لشدة التشابه بين الساعتين، وعاش الفتي بعض أيام تعيسة، تضور فيها جوعا،

حيث أنه أنفق مصروفه في شراء الساعة، وبعد أيام عاد إلي منزل الأسرة، ولكن والده قابله هاشا باشّا، وكان مشفقا عليه، لأنه كان قد نسي ساعته.
لا تكمن أهمية القصة في تفاصيلها التي سردناها سلفا، ولكننا سنلاحظ أن لغة القصة سليمة من كافة جوانبها، تقنية السرد كانت مشوقة إلي حد بعيد، وكل كتّاب القصة آنذاك كانوا يعتمدون النهاية المفاجئة، والتي يحتفظ فيها الكاتب بسرّ يعلنونه علي القارئ، ويطلق عليه النقاد "لحظة التنوير"، بما فيذلك يوسف ادريس نفسه، وقد صاحبته تلك التقنية فيما بعد، وربما صارت عادة سردية تخصّ كتابا كثيرين.
أما القصة الأخري، وهي "طاهر أفندي" ، تتحدث عن رجل بخيل جدا، رغم مايملكه من أموال وأطيان، ولكنه كان موظفا حكوميا، وكان يريد أن تناله الترقية، وفي يوم من الأيام لاحظ أهل القرية، أن طاهر أفندي أعدّ وليمة ضخمة، ودعي فيها عددا كبيرا من أعيان القرية، بما فيهم "العمدة"، وكان ذلك غريبا علي طاهر أفندي، مما أثار لغطا في البلد، وأثار كثيرا من القيل والقال والتأويلات العديدة التي تحاول تفسير ذلك الفعل الغريب، فاكتشفوا أن طاهر أفندي، أراد أن يحتال حيلة خبيثة، كان أحد زملائه دلّه عليها، وهي أن يعدّ تلك الوليمة، ويعلن أنها علي شرف المفتش، والذي لم يكن قد جاء حتي ذلك اللغط، كان الجميع قد حضروا،العمدة وطبيب القرية والمهندس الزراعي وغيرهم، وفطن طاهر أفندي لكي تكتمل "الوليمة"، فلابد أن يشتري الجريدة التي كان المفتش يحب أن يقرأها، وأرسل ابنه لكي يحضرها، وعندما جاءت الجريدة، نظر فيها بشكل عابر ، ولكنه قرأ خبرا صاعقا، يقول بأن المفتش قد تم نقله إلي مكان آخر ، وهوقد استلم عمله اليوم بالفعل.
إذن كان أبو المعاطي أبو النجا، الكاتب الشاب، والذي لم يبلغ من العمر عشرين عاما، يعرف كيف يكتب قصة شائقة، ويعالج فيها ملابسات اجتماعية حادة وواضحة، وممتعة في الوقت نفسه، ونشرت تلك القصة في يونيو ١٩٥٠ في مجلة الرسالة، ولكن أبو المعاطي أبو النجا استثناها مع حوالي ثلاثين قصة من النشر في مجموعات قصصية، وليت وزارة الثقافة تشرع في نشر ذلك الإبداع المهدور والمستبعد للكاتب الراحل الكبير ، ونطالب وزارة الثقافة أن تنشر ذلك الإبداع المتعدد للكاتب، مع إقامة تأبين كبير يليق بالرجل القامة والقيمة، والذي رحل في صمت مريب، حتي جنازته التي شيعت منذ أيام لم يحضرها ممثلون عن وزارة الثقافة، ولا من اتحاد الكتّاب.
وجدير بالذكر أن الهيئة المصرية العامة للكتاب، كانت قد أصدرت أعماله القصصية والروائية والنقدية في أربعة مجلدات، وقد ضمت روايتيه "العودة إلي المنفي"و"ضد مجهول"، ومجموعاته القصصية "فتاة في المدينة" و"الابتسامة الغامضة"، و"الزعيم "و"مهمة غير عادية"و"الناس والحب" و"الوهم والحقيقة"و "الجميع يربحون الجائزة" وغيرها من مجموعات أخري ، كما أن المجلد الرابع ضم كتاباته النقدية في القصة والرواية، وفي تلك الكتابات النقدية كتب عن روايات "البحث عن وليدمسعود" لجبرا ابراهيم جبرا، و"النهايات " لعبد الرحمن منيف ، و"سيمفونية البحار " لحنا مينا ، كما كتب عن "العتب علي النظر " ليوسف ادريس ، و"سدرة المنتهي" لسعيد الكفراوي ، و"أنا الملك جئت" لبهاء طاهر ، وغير

ذلك من كتابات نقدية تنم عن ذوق رفيع المستوي لمبدع وكاتب استثنائي وكبير ، ويكفي أن يكون كاتبا لرواية مثل رواية "العودة إلي المنفي".
ولم تكن رواية "العودة إلي المنفي" سوي تغريدة عظيمة في حب أحد أبناء مصر العظام، وهو خطيب الثورة العرابية، وفي تلك الرواية يعيد أبو النجا مسيرة النديم في شكل جدلي، وفي شهادة له، قدمها في أحد مؤتمرات الرواية، ثم نشرها بعد ذلك في مجلة "فصول"، يعلن عن أنه بدأ التفكير في تلك الرواية عام ١٩٦٥، ولم ينتق شخصية عشوائية، كما قال النساج، ولكنه أوضح أنه تأثر بماكتبه الدكتور أحمد أمين في كتابه "زعماء الإصلاح"، ثم تأثر بكتاب "عبدالله النديم ..خطيب الوطنية" للدكتور علي الحديدي، ثم قرأ كل ماكتب عن عبدالله النديم ، ثم قرأ كتابات عبد الله النديم نفسه ، وبالتالي عكف علي دراسة كل الشخصيات المحورية التي كانت في عصر عبد الله النديم، والعادات والتقاليد التي كانت سائدة، كذلك المخطوطات التي لم تكن منشورة حتي ذلك الوقت، وحصل أبو النجا علي منحة تفرغ في ذلك الوقت، وأثناء كتابته للرواية، داهمته وداهمت الوطن العربي كله كارثة وهزيمة ١٩٦٧ ، فكانت عنصرا أساسيا في التعريج عليها بشكل رمزي، وأوضح أبو النجا، بأنه لم يكن يريد إعادة إنتاج التاريخ روائيا، بقدر ماكانت الرواية بمثابة أسئلة عديدة لعناوين كثيرة، حدثت في الوطن علي مدي قرن كامل.
أناشد وزير الثقافة للمرة الألف ، تاريخنا معلق علي أكتاف وزارتكم ومؤسساتكم الكبري، تلك الوزارة التي أخشي أن تخذلنا في الانتباه للذاكرة الثقافية التي كادت أن تنمحي وتتوه في ظل التزاحم الذي نراه، ولكنه لا يأتي بالثمار المرجوة.

المصري اليوم - السبت ٢٤ ديسمبر ٢٠١٦

رئيس التحرير محمد السيد صالح يكتب "حكايات السبت"

معلومات غزيرة فى رأسى تصلح جميعها لحكايات هذا الأسبوع. سأحاول ترتيبها وتأجيل بعضها للأسابيع المقبلة. فى نهاية عام عنيف وعاصف، قررت أن أكتب أشياءً إيجابية، مقترحات للصالح العام. لنؤجل نقدنا قدر الإمكان. سأقدم مجموعة من الأمنيات حول الحريات والدستور وعن أوضاع المحبوسين احتياطيًا، لكنى سأبدأ بحكاية لم تكتمل حول زيارة تمنيت أن يقوم بها الرئيس. وعندما قرأت عنها وعن الذكرى الغالية علينا كمصريين أعددنا صفحتين نشرناهما فى عدد أمس الجمعة، لكن الزيارة للأسف لم تكتمل.

الرئيس وبورسعيد

.....

مميش ودرويش

.....

لومارشيه وعيسى

.....

فكرة فى عزاء

.....

أبوالمعاطى أبوالنجا

لا أجد لدىّ الكثير لأكتبه عن إنتاج الأديب الراحل أبوالمعاطى أبوالنجا الذى توفى الأسبوع الماضى، فقد كفانى الدكتور أحمد جمال الدين موسى فى مقاله الرائع عن أبوالنجا الخميس الماضى. لكنى لدىّ تجربة خاصة مع أبوالنجا. إننى وبكل صراحة ووضوح أدين لهذا الأديب المثقف الشامل فى دخولى الصحافة.

وأنا طالب فى الجامعة- بكلية الإعلام جامعة القاهرة- كان العلامة الدكتور طاهر مكى، هو الذى يدرس لنا منهج النقد الأدبى، وكان له كتابان رائعان عن «القصة القصيرة دراسة ومختارات» وكذلك كتاب آخر حول «الشعر العربى». وفى كتاب «القصة» عثرت على نموذج قصص لأبوالمعاطى أبوالنجا يومها أخذتنى الخيلاء وأنا أعرض على زملائى أن مكى اختار قصة لأحد أقربائى. نعم أبوالنجا قريب لعائلة والدتى. لم أكن يومها قرأت له شيئًا. كانت القصة القصيرة «ذراعان» التى اختارها مكى أول ما قرأت له، لكنى فى معرض الكتاب التالى اشتريت أكثر من عمل له. كانت روايته «العودة إلى المنفى» والتى تحكى قصة حياة خطيب الثورة العرابية والصحفى والسياسى عبدالله النديم هى الأروع، شدتنى لدرجة أننى قرأتها فى ثلاثة أيام فقط. ثم جمعت فيما بعد كثيراً من مجموعاته القصصية. فى إحدى زياراته لبيتنا عرض عليه أبناء عمى أن يساعدنى فى الحصول على فرصة عمل فى الصحافة. مرت أسابيع- وكان وقتها مديراً لمكتب «العربى» فى القاهرة، وظننت أن الرجل نسى أمرى، لكنه كان يجهز لى مفاجأة غيرت حياتى تمامًا. اتفق مع مدير مكتب القبس فى القاهرة أسامة الغزولى. أن أساعده فى إدارة المكتب وأتولى الديسك المركزى. والغزولى واحد من أذكى الصحفيين الذين تعاملت معهم وأفضل من يتحدث الإنجليزية فى مصر وسأكتب عنه وبشكل منفصل.

فى مكتب أبوالمعاطى أبوالنجا، تعرفت للمرة الأولى على الدكتور محمد المخزنجى صديقى حاليًا، والذى أعتز بصفحته الأسبوعية فى «المصرى اليوم» وهو أكثر الكتاب احترامًا وموهبة.

رحم الله «أبوالنجا»، أديب مثقف لم يحصل على تكريم حقيقى فى حياته. لقد كان الرجل كما كتب د. أحمد جمال الدين موسى فى مقاله متواضعا وينفر من الانضواء ضمن أطر الشبكات والتحالفات التى طفت على سطح المحيط الثقافى. إننى أدعو وزير الثقافة حلمى النمنم، وهو رجل يعرف قيمة أبوالمعاطى أبوالنجا، وقد تابع حالته الصحية مريضًا ورثاه بعد موته- أدعوه للمساعدة فى حصول اسم الراحل على تكريم مناسب، ولعل إنتاج الراحل يرقى لكى يقدم صاحبه لنيل جائزة النيل.

مجلة "القاهرة" – العدد ٨٠٨

الحوار الأخير قبل الرحيل..

أبو المعاطى أبو النجا : تكوينى الثقافى هو كل ما لا حيلة لي فيه ولا اختيار

حاوره : محمد رفاعى

هذا هو الحوار الأخير مع الكاتب الكبير أبو المعاطى أبو النجا قبل رحيله و قبل أن يرقد مريضا بمستشفى السلام الدولى ، صاحب القيمة الكبيرة من الكتاباته الإبداعية التى وضعته فى مقدمة كتاب الطليعة الأدبية، بدأ الكتابة الإبداعية منذ منتصف الخمسينات، وأصدر ثمانى مجموعات قصصية، تناولها كبار النقاد بالدراسة والتحليل، ضمها مجلدان من أعماله الكاملة صدرا فى عامى ١٩٩٢، ١٩٩٣، عدا مجموعته الأخيرة "فى هذا الصباح" التى صدرت عام ١٩٩٩.

وتظل روايته "العودة إلى المنفى" واحدة من علامات الأدب المصرى المعاصر بطريقتها الفذة فى الاشتغال على سيرة المناضل الوطنى عبد الله النديم التى نالت استحسانا وطبعت عدة طبعات، وحصل بها على جائزة الدولة التشجيعية فى الرواية وهى الجائزة الوحيدة التى حصدها، رغم كونه عضوا فى مجلس الأعلى لثقافة فى مصر وهو المانح للجوائز

واضافة لهذه الرواية اصدر ابو النجا روايته " ضد المجهول" عام ١٩٧٥ ، كتب أبو المعاطى دراسات ومقالات عن القصة القصيرة والرواية، نشرها فى مجلد بعنوان "طرق متعددة لمدينة

واحدة"، وصدر فى عام ١٩٩٧، ثم أصدر كتابا يضم مقالاته الحديثة عنونه بـ " قراءة نقدية فى قصص وروايات عربية» عام ٢٠١٣.

ولد أبو النجا عام ١٩٣١فى احدى قرى دلتا مصر، ودرس اللغة العربية فى الأزهر وعمل فى عدة وظائف فى مصر والكويت وكان عضوا بهيئة تحرير مجلة العربى العريقة بالكويت.

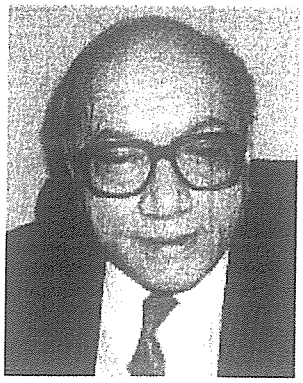

وهنا حوار معه يذكر بتجربته الإبداعية العميقة وتاثيره بين مجايليه من المبدعين أجرى قبل فترة مرضه:

* ما أهم المؤثرات التى ترى أنها تركت آثرها على تكوينك الثقافى والإبداعي؟

–أظن أن من أهم المؤثرات التى تترك اثرا على التكوين الثقافى والإبداعى للكاتب هى تلك التى تتصل بنشأته الأولى، وبكل ما لا حيلة له فيه ولا اختيار، ولو أردت أن أوجز لك ما أظنه من أهم ملامح هذه النشأة، فهى أننى نشأت فى إحدى قرى الريف فى محافظة الدقهلية لأبوين ليسا من أغنياء القرية ولا من فقرائها، فأبى كان ناظر مدرسة القرية الأولية، وكان فى القرية أغنياء تبرعوا ببناء المدرسة التى كان أبى ناظرا لها، بعضهم كان يمتلك أكثر من مائة فدان، بينما كان معظم سكان القرية يعملون أجراء فى أراض لا يمتلكون شبرا فيها، وكانت هناك أعداد اخرى تمتلك قطعا صغيرة من الأرض، أردت بهذا التفصيل أن أوضح لك أننى فى هذه الفترة المبكرة من حياتى كنت قريبا من الفقر الذى رأيت كيف يمكن أن يدمر الحياة، أو على الأقل يضع سقفا لأولئك الذين ينجوّن من هذا الدمار، كما كنت أيضا قريبا من الغنى الذى رأيت أنه هو الآخر بالرغم من كل المزايا التى يقدمها يمكن أيضا أن يدمر بعض هؤلاء الأغنياء، فى هذه الفترة حفظت القرآن الكريم فى كتاب القرية ورشحنى نجاحى فى حفظ القرآن فى سن مبكرة إلى أن التحق بالمعهد الدينى التابع للأزهر بالزقازيق، فأنتقل للحياة فى المدينة دون أن أنفصل تماما عن القرية، وفى الوقت الذى كنت أتلقى فيه تعليما تقليديا تراثيا فى المعهد الديني،

كنت بسبب وجودى فى مدينة الزقازيق أتابع الصحف والمجلات الحديثة وأتردد على مكتبة البلدية، أبحث عن الكتب التى أقرأ عنها فى مجلة الرسالة والثقافة، وفى هذا الإطار لم يكن غريبا أن أنشر القصص الأولى التى كنت أكتبها فى نهاية المرحلة الثانوية بالمعهد الدينى فى مجلة الرسالة التى تصدر فى القاهرة دون أن أكون قد ذهبت إلى القاهرة.

*مفهوم الحداثة اختلف من جيل إلى لآخر وحتى الآن . كيف ترى الحداثة عبر مسيرتك الثقافية؟

–الحداثة مصطلح مراوغ لأنه من الناحية اللغوية الخالصة يعنى الجدّة أو متابعة الجديد فى أىّ مجال، ولأننا منذ بداية النهضة فى عصر محمد على بدأنا نتابع ما هو جديد فى الغرب الذى سبقنا إلى النهوض بقرون فى شتى المجالات، فقد كان هذا المصطلح فى مجال يتعدد ويتلون وفق السياق ووفق الزمان والمكان الذى يتم فيه النقل ووفق المستوى الثقافى والمعرفى للناقل والمستخدم للمصطلح.

حين كنت طالبا فى كلية العلوم كنا ندرس نقد العقاد والمازنى لشعر أحمد شوقى فى كتابهما المعنون بـ"الديوان"، وكان هذا النقد يرتكز على معايير المدرسة الرومانسية فى نقد الشعر، وهى المدرسة التى جاءت فى أوربا بعد الكلاسيكية، فكان من الطبيعى أن يقدم لنا هذا النقد تحت عنوان أن هذا هو النقد الحديث للشعر، وأن نرى فى مثل هذا النقد نوعا من الحداثة، ولكننا كنا فى الوقت ذاته نتابع ما يكتبه صلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وأحمد عبد المعطى حجازى من قصائد جديدة تأخذ بما كان يعرف بشعر التفعيلة على أن هذا هو الشعر الجديد أو الحديث الذى يقدمه ناقد شاب اسمه "رجاء النقاش"وناقد آخر اسمه "بدر الديب"، وكان من الطبيعى أن تتكرر المفارقة نفسها فى مجال القصة والرواية.

*من يقرأ قصصك القصيرة خاصة فى المجلد الثانى من الأعمال الكاملة يوقن أنك كاتب طليعى وحداثى دون جدال ..هل يمكن أن تحدد لنا الأساليب التى استخدمتها فى تطوير القصة القصيرة عبر مسيرتك القصصية؟

–دعنى أجيب عن سؤالك بطريقة تنقذنى مما فيه من شبهة الادعاء بأننى كاتب طليعى وحداثى، ومن شبهة محاولتى تقديم أدلة على ذلك، فلعلك تصدقنى فى ضوء إجابتى عن سؤال الحداثة، إننى لم أنشغل كثيرا بأمر الحداثة، وكان ما يشغلنى دائما هو أمر الحياة، وأمر المجتمع وأمر حياة الفرد أو الأفراد فى هذا المجتمع.

سأحاول وهذا ما أفعله ربما لأول مرة أن أقول لك كيف كتبت بعض قصصي.

ينشغل عقلى كما ينشغل عقل أى كاتب بأفكار أو رؤى كاملة أو ناقصة من ذلك ما كنت أشعر من وجود ذلك الصراع شبه الأبدى فى داخل الفرد أو فى داخل المجتمع بين النزوع إلى توسيع دوائر الحرية بالإبداع والابتكار والنزوع إلى وضع الحدود والقواعد التى تضمن تحقيق العدالة

والتوازن وأيضا تحقيق الاستمرار، وأحيانا كان يبدو لى أن تحقيق أى تفوق أو تقدم فى أى نزوع منهما يكون دائما على حساب الآخر، ودائما ما كنت أحلم بإمكانية وجود صيغة تجعلنا نحظى بأفضل ما تقدمه هاتان النزعتان، دون أن تطغى واحدة منهما على الأخرى أو تعمل على تقليصها أو تهميشها، ذات يوم كنت أعبر فيه ميدان طلعت حرب فى القاهرة، وجدتنى فجأة أمام حادث يقع أمامى على نحو مفاجئ، بائع متجول متقدم فى السن يحمل قفصا من البرتقال على كتفه يعبر الميدان على بعد خطوات منى، يتعثر الرجل فيسقط على الأرض وتتناثر حبات البرتقال فى الميدان، نجاة الرجل بما يشبه المعجزة من الموت تحت عجلات السيارات التى فاجأها تعثره وسقوطه لا يشغله عن خسارته الكبرى لقفص البرتقال فيحاول أن يجمعه من أمام السيارات المتعجلة.

*أشار الدكتور شكرى عيّاد فى دراسته عن أعمالك القصصية تحت عنوان "شاعر الألفة والأمل" إلى أن عنصر الشعر يمثل الروح الخفى فى كل إعمالك القصصية، كما أن هذه الأعمال تعكس نوعا من الشعور القوى بوحدة الوجود، كما أشار الدكتور "عبد القادر القط" فيما كتبه عن أعمالك القصصية إلى ميلك إلى الغوص فى أعماق النفس الإنسانية، والقدرة على تحليل اللحظة النفسية، وإلقاء الضوء على أبعادها وتحولاتها ..ما تعليقك على كلا الرأيين؟، وهل يعنى هذا أن لك اهتماما خاصا بعلم النفس أو الطب النفسى أو الشعر؟

-فى الحقيقة لا أميل إلى التعليق على الآراء التى يقولها أو يكتبها النقاد عن أعمالى وان كنت أقرؤها أوأصغى إليها باهتمام واحترام، وأحاول أن أفيد منها، خاصة حين تتغير أو تختلف فقد كان رأى الدكتور عبد القادر القط فى مجموعتى القصصية الأولى "فتاة فى المدينة" أنها تتميز بغلبة النزعة الفكرية عليها بروح الفكاهة والسخرية، ثم جاء رأيه فى مجموعتى الثالثة "الناس والحب " ليتحدث عن الميل إلى الغوص فى أعماق النفس الإنسانية بكل جوانبها والقدرة على التحليل اللحظة النفسية وهو ما يقترب من رأى الدكتور شكرى عيّاد الذى كان يمثل رؤية لأعمالى الكاملة فى القصة القصيرة، فقد أشار إلى أن معظم شخصيات قصص هذه الأعمال يعبر سلوكها عن شعور قوى بوحدة الوجود، فما هو نفسى يمتزج بما هو فكرى وبما هو جسدى وغرائزى فى وحدة واحدة لا ينفصم فيها حال عن حال، بحيث يصبح من الصعب وضع حدود فاصلة بين حركة هذه الحوافز والمؤثرات، بما يعبر فعلا عن الشعور القوى بوحدة الوجود.

أما عن سؤالك عما إذا كان لى اهتمام خاص بالقراءة فى علم النفس أو الطب النفسى أو الشعر، فهو سؤال يتصل بعلاقة الكاتب بمصادر المعرفة، فهل يختلف الكاتب فى هذا الشأن عن غيره من الناس؟ الجميع يسعون إلى مصادر المعرفة، كل وفق قدراته وإمكانياته لأن هذه المعرفة هى التى تساعد الإنسان فى المحافظة على وجوده وتوازنه وإشباع شتى حاجاته، وتنمية قدراته.

*كنت ممن التفت مبكرا إلى سيرة المناضل "عبد الله النديم" فى رواية "العودة إلى المنفى"التى نشرت عدة مرات وهو العمل الوحيد لك المستوحى من شخصية تاريخية، ترى ما دلالة هذا الاختيار؟

–مغزى اختيارى لشخصية "عبد الله النديم " لكتابة عمل روائى عنه، بسبب اهتمامى بشخصيته مكررا والقراءة عن حياته فى إطار محاولاتى التعرف على تاريخ مصر الحديث وحياة الرجال الذين كان لهم دور بارز فى صناعة هذا التاريخ . وقد لفت نظرى أن حياة "النديم" تختلف عبر رحلتها الممتدة كل طبقات المجتمع المصرى وفئاته فى مرحلة ما قبل الثورة العرابية وبعدها، ففى هاتين المرحلتين قام بدور المثقف المؤثر والفاعل، فقبل الثورة نجح فى تحريك قوى اجتماعية هائلة للعمل من خلال الجمعيات الأهلية التى قامت بدور خطير فى إنشاء المدارس والمصانع فى وقت كانت الدولة غارقة فى مأساة ديونها لأوروبا، وبعد الثورة قام بدور مماثل فى تحريك هذه القوى لتساند ثورة يقوم بها الجيش لتكتسب حركته السند الشعبى، والدور المؤثر والبارز الذى لعبه عبد الله النديم مع الثورة العرابية أثناء احتدامها وخوضها الحرب ضد الاحتلال الانجليزى لمصر.

*كتبت دراسات ومقالات نقدية فى القصة والرواية العربية، أصدرتها ضمن الأعمال الكاملة تحت عنوان "طرق متعددة لمدينة واحدة " فى عام ١٩٩٧ هل هناك رؤية أو اتجاه أدبى تناولت من خلاله هذه الأعمال؟

–امتد زمن كتابة هذه المقالات أكثر من ستة عشر عاما، جرت فيها أحداث كبيرة، وكانت هذه الكتابة إحدى الطرق التى أواجه بها هذا الواقع.

طول فترة كتابة المقالات فمن الطبيعى أن تشهد درجات من التغيير فى التجربة والفكر والرؤية بالنسبة لأى كاتب مهما يكن عمره، ولا شك أن هذا شىء يظهر فى التناول أو الأسلوب، كما تغيرت أساليب الكتابة الإبداعية والنقدية، كنت أبحث فى تلك الدراسات عن الجمال من خلال البحث عن المعنى والفكرة.

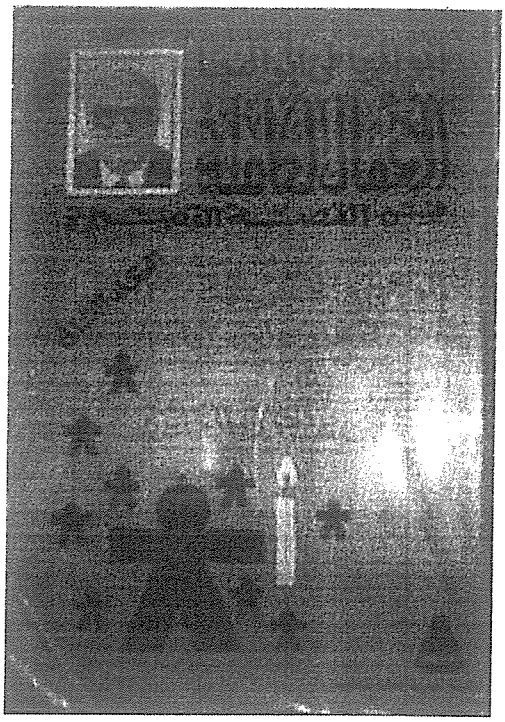

* هل الواقعية التى مارسها أغلب جيلكم ما زالت قادرة على الإمتاع والدهشة؟.

–الواقعية مدرسة فى النقد الأدبى متعددة الاتجاهات ولكن جذرها يرجع إلى الفلسفة التى ترى أن المعرفة الصحيحة تبدأ بمعرفة الواقع الذى تنقله إلينا الحواس، ومعرفة القوانين التى يتحرك بها هذا الواقع، مع التجربة التاريخية لتطور المعرفة ندرك أن إدراكنا هذا الواقع ولقوانينه ليس صحيحا دائما، وليس نهائيا وأنه يتطور، وأن المعرفة ذاتها تتطور، وأنه فى مجال الأدب، الذى يعنى ليس فقط بالمعرفة فى ذاتها، لكن بما يشعر به الإنسان وينفعل به إزاء هذه المعرفة فى مراحل استقرارها أو تطورها، فإنه من الطبيعى أن مثل هذا الأدب الواقعى سيظل دائما قادرا على الإمتاع وإثارة الدهشة ليس فقط لأن إدراكنا الواقع يتغير دائما، لكن لأن الأدباء أنفسهم يختلفون فى إدراكهم وفى شعورهم بهذا الواقع حتى فى حالة استقرار درجة المعرفة فى زمن من الأزمان أو فى مكان من الأمكنة، فالجمال فى الأدب لا ينبع فقط من تجدد المعرفة بالواقع، بل من الاختلاف فى الحساسية وعمق الرؤية بين الكتاب أنفسهم لاختلاف شخصياتهم وظروف حياتهم ولو كانوا جميعا ممن يحترمون قواعد المدرسة الواقعية، ولهذا ولأسباب اخرى سيظل الأدب الواقعى قادرا على الإمتاع والدهشة، المهم أن يكتبه أديب حقيقى موهوب.

*كيف أثرت تجربة الغربة والابتعاد عن الوطن على تجربتك الثقافية ؟

–تجربة الغربة الآن فى هذا الوقت الذى أجيب فيه عن سؤالك تختلف كثيرا عما كانت فى الماضى البعيد وحتى القريب، بالنسبة لتجربتى التى بدأت فى العام ١٩٧٥.

وانتهت فى عام ١٩٩٠ الذى وقع فيه غزو الكويت البلد الذى هاجرت إليه، وعشت فيه خمسة عشر عاما كانت لها آثار متعددة على تجربتى الثقافية، قبل أن أسافر إلى الكويت كنت قد أنجزت أربع مجموعات قصصية وعملى الروائى الأول وهو "العودة إلى المنفى" عن حياة عبد الله النديم، والذى عكس تجربة الثورة العرابية والذى حصلت عنه عن جائزة الدولة التشجيعية فى الرواية عام ١٩٧٠، وكان ما ساعدنى على انجاز هذه العمل هو أنى حصلت على منحة تفرغ لمدة عامين فى إطار نظام التفرغ الذى كان من أهم انجازات ثورة يوليو ١٩٥٢، وكنت أنتوى أن أواصل هذا البرنامج بكتابة روايات عن شخصيات مختارة من تاريخ مصر الحديث تمثل أهم وجوه وملامح النهضة فى مراحل المختلفة من تاريخ مصر، وكأننى بهذه الروايات أقدم نوعا من التاريخ الفنى للحياة المصرية الحديثة من خلال نخبة من رجالاتها العظام.

جريدة الأهرام في ٢٧ ديسمبر ٢٠١٦

فى رحـاب الجمـال
بهاء جاهين

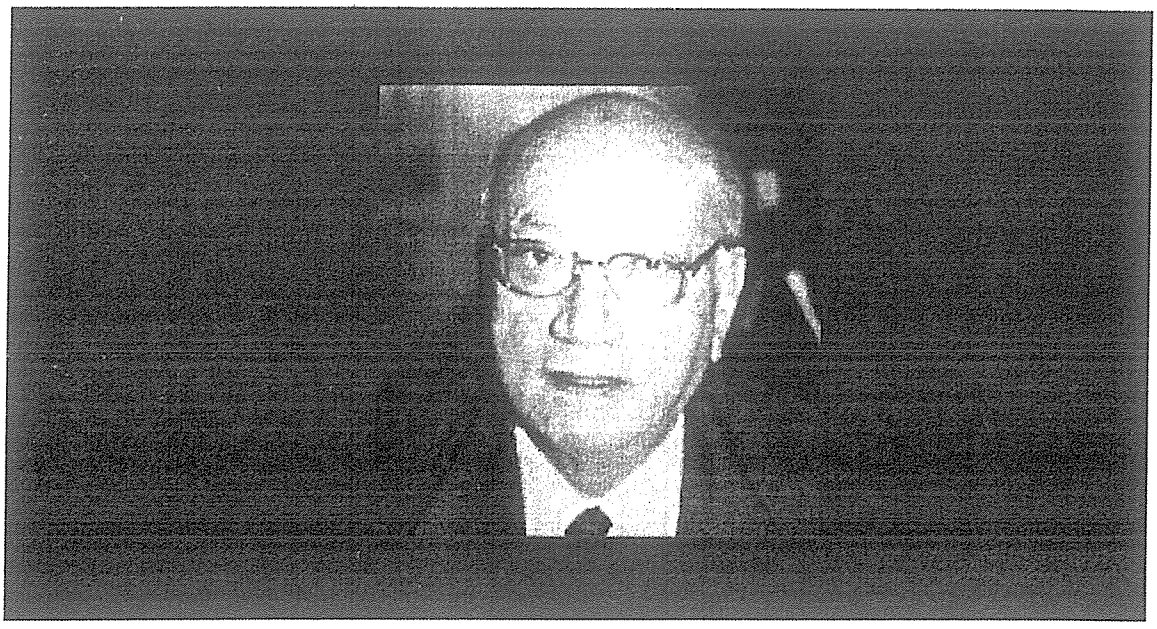

صعد واحد من آل الجمال إلى رحاب الجمال الأعلى. أبو المعاطى أبو النجا.. نال من عطاء البديع ومواهبه، لكنه ظل قابعاً فى ركنٍ وحده، جمالاً إبداعياً يكاد يكون سرياً، من زهده فى ضوء الفلاشات الصناعى المؤذى للعين، مفضلاً عليه نور الإلهام.

ولهذا، مع أنه من قمم الإبداع القصصى والروائى فى مصر والعالم العربى، لا يعرفه الكثيرون. أبو النجا الذى حين بلغنى خبر صعوده، انتابنى شجن يشبه شجن الحنين للصبا: تذكرت روايته التى كانت فاتحة اطّلاعى على الأدب الحقيقىّ، وصعودى من قارئ لأدب الأطفال والفتية لأحد متذوقى الإبداع الأعلى؛ عطاء كبار الكتاب. كانت تلك الرواية هى «العودة إلى المنفى» التى أصدرتها روايات الهلال فى جزءين، ربما فى عام ١٩٧٠ إذا لم تخنى الذاكرة، أو قبل ذلك بقليل. اجتاحتنى الرواية كالعاصفة؛ كالحب الأول، أو المشاهدة الأولى للشمس الحمراء وهى تنعس فى حضن البحر، وتنطفئ تدريجيا كأنها تطفئ شمعة بجوار الوسادة وتستسلم للأحلام.

كانت «العودة إلى المنفى» بالنسبة لى هى روعة الاكتشاف: للأدب الكبير، ولشخصية بطلها عبدالله النديم، الأديب الأدباتى الذى صعد إلى رتبة صحفى رائد مجاهد، فخطيب للثورة العرابية، وانتهى هارباً تطارده سلطات الاحتلال.

ثم مرت سنوات كثيرة، صرت فى أثنائها، بفضل «العودة إلى المنفى»، قارئا مدمنا مزمنا للأدب. ولأن أبا المعاطى كان زاهداً فى الاضواء والشهرة، لم تقع فى يدى أعمال كثيرة من إنتاجه، حتى أسعدنى زمانى بمجموعة قصصية له قرأتها فى نحو منتصف الثمانينيات، ولم أعد أتذكر اسمها، لكنّ ما أتذكره جيداً إحدى قصصها؛ قصة انحفرت سطورها فى وجدانى، عن رجل تفترسه فى صمت حالة اكتئاب غلاّب هيمن عليه كلياً وقطع كل صلاته بالعالم، إلى أن اضطرته الظروف للسفر، فاستقل سيارة أجرة ريفية بالنفر، يتكدس فيها الناس حتى يكاد الواحد منهم أن يجلس فوق الآخر. هذا الزحام الخانق فى دقائقه الأولى سرعان ما يبعث فى كيانه البردان، من وحشة الحزن الانفرادىّ، ذلك الدفء العجيب المتولد من ائتناس الناس بالناس، ليتحول الحزين المنفرد إلى عضو فى جسد عملاق تضخ قلوبه المتعددة الدم الدافئ والأنس والأمان والمرح فى الجسد الجمعىّ.. وتذوب تلك العقدة المتكلسة المتشنجة بالألم فى الدم الشعبى الحار للمجموع.

إنها فى اعتقادى أجمل معزوفة أدبية عن الانتماء والاستدفاء والاستشفاء بالناس؛ عن آحاد كل واحد منهم بردان وحده وحزين، لكن الفقر الذى يصهر الأجساد ويحشرها فى سيارة الأجرة تلك، يجعل منها جسداً واحداً مؤتنساً بنفسه، يسرى دفؤه فى نفس الراكب العليل فيشفيه. قطعة من الشعر تعلن موقف كاتبها الاجتماعى، بلحظة مكثفة هى درس فى مجال القصة القصيرة، ونموذج عالٍ وفريد لكيف تُكتب.

هى منقوشة داخلى، وإن غاب اسمها عنى.

رحم الله الجميل الذى كان أستاذاً لى ولغيرى فى صنعة الجمال.

جريدة الحياة – لندن – الخميس ٢٩-١٢-٢٠١٦

"رحيل أبوالمعاطي أبوالنجا قاص الخمسينات المصرية"

القاهرة - حسين عبد البصير

يعد الكاتب المصري أبوالمعاطي أبوالنجا الذي غيَّبه الموت عن عمر يناهز الثمانين عاماً، أحد أبرز كتاب ما يُسمى «القصة النفسية» في العالم العربي. ينتمي أبوالنجا إلى جيل الخمسينات، ومن أبرز وجوهه، يوسف إدريس ويوسف الشاروني وسليمان فياض. بدأ أبوالمعاطي نشر قصصه عام ١٩٤٩ في مجلة «الرسالة»، وكانت تتسم بالتأمل والحس النفسي والفلسفي والنهايات المفتوحة، ما جعله أقرب إلى يوسف الشاروني، منه إلى يوسف إدريس، رغم النزعة الواقعية في كتابته. ومعروف أن حضور يوسف إدريس الكبير عبر آرائه السياسية المثيرة للجدل، وكذلك عبر أعماله القصصية والروائية والمسرحية، طغى على حضور مجايليه، بمن فيهم أبوالمعاطي أبوالنجا، رغم موهبته الأدبية اللافتة.

وُلد أبوالنجا في إحدى قرى محافظة الدقهلية في شمال مصر، والتحق بالمعهد الديني في مدينة الزقازيق، ليزامل الراحل سليمان فياض في المعهد ذاته، وتنشأ بينهما صداقة وطيدة، خصوصاً بعد تزاملهما أيضاً في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وعمل أبوالنجا في التدريس، كما عمل محرراً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم سافر في نهاية عام ١٩٧٤ إلى الكويت للعمل في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، قبل أن يلتحق بأسرة تحرير مجلة «العربي». وبعد الغزو العراقي الكويت عين أبوالنجا مديراً لمكتب مجلة «العربي» في القاهرة، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته.

تفتح وجدان أبوالنجا الأدبي عبر قراءته «ألف ليلة وليلة» وسيرة أبو زيد الهلالي وغيرها من السير الشعبية، على بعض أهالي قريته. كما فتح له المنفلوطي وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وأمين الريحاني وغيرهم، الباب واسعاً ليدخل عالم الإبداع. حملت مجموعته القصصية الأولى عنوان «فتاة المدينة»، ونشرتها دار «الآداب» البيروتية بمقدمة نقدية للراحل أنور المعداوي. ولاقت هذه المجموعة ترحيباً كبيراً من نقاد هذه المرحلة، وتلتها مجموعات «الابتسامة الغامضة»، و«الناس والحب»، و«الوهم والحقيقة»، و«مهمة غير عادية»، و«الزعيم»، و«الجميع يربحون الجائزة»، و«في هذا الصباح». وكتب روايتين هما «العودة من المنفى»، و«ضد مجهول»، وأصدر كتاباً نقدياً عنوانه «طرق متعددة لمدينة واحدة». وعلى رغم تميزه في كتابة القصة القصيرة، فإن روايته «العودة من المنفى»، الصادرة عام ١٩٦٩ هي أبرز أعماله الأدبية، علماً أن اتحاد الكتاب المصريين اختارها ضمن أفضل مئة رواية عربية. وتدور هذه الرواية حول خطيب الثورة العرابية، عبدالله النديم، وعودته إلى مصر من منفاه في فلسطين، في أجواء تشبه ما سادَ في أعقاب هزيمة عام ١٩٦٧. يجد العائد وطناً مهزوماً يلعق أهلُه جراح الهزيمة العسكرية أمام الإنكليز وضراوة التسلط السياسي لحكم

الخديوي توفيق، فيشعر بأنه عاد من منفى إلى منفى آخر. في هذه الرواية، يلقي أبوالنجا الضوء في شكل غير مباشر على ثورة ١٩٥٢ وتحولها إلى كابوس نتيجة هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وبحث الناس الحثيث عن طريق للخلاص وسط الظلام الذي كان يكسو المشهد المصري. ويذكر أن الهيئة المصرية العامة للكتاب أصدرت أعمال أبوالنجا في مجلدات عدة في التسعينات.
ويحسب للكاتب الراحل أنه قدم عدداً من الأدباء من خلال إتاحة الفرصة لهم للنشر في مجلة «العربي»، وفي مقدم هؤلاء محمد المخزنجي ومحمد المنسي قنديل وسعيد الكفراوي وإبراهيم عبدالمجيد، والشاعر الراحل محمد عفيفي مطر.

بوابة المصري اليوم - الجمعة ٣٠-١٢-٢٠١٦ ٢١:٣٤

الحسين عبد البصير

وداعاً أبوالمعاطي أبوالنجا

رحل عن عالمنا الكاتب الروائي والقاص الكبير محمد أبوالمعاطي أبوالنجا عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وُلد الكاتب الكبير في قرية الحصاينة من أعمال مركز ومدينة السنبلاوين في مديرية الدقهلية في العام ١٩٣٥. وأُطلق عليه اسم أبوالمعاطي على اسم أحد أولياء الله الصالحين في المنطقة.

ثم التحق بالمعهد الديني في مدينة الزقازيق بالشرقية، نفس المعهد الذي درس فيه العمالقة فضيلة الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي، ووزير الثقافة الأسبق الراحل الدكتور أحمد هيكل، والكاتب الكبير واللغوي والأديب الفذ سليمان فياض، بلديات الكاتب الراحل وصديق عمره ورفيق دربه ورحلته الأدبية الطويلة.

وتخرج الكاتب الكبير في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، مع الكاتب سليمان فياض، والناقد وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية الدكتور محمود الربيعي. وحصل على دبلوم التربية من كلّية التربية جامعة عين شمس.

وبدأ حياته الوظيفية لمدة أعوام قليلة بالتدريس كما عمل محرراً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لمدة إثنى عشر عاماً. ثم سافر في نهاية عام ١٩٧٤ للعمل كمدير للعلاقات العامة والإعلام في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي بالكويت لمدة عشر أعوام. ثم التحق بمجلة العربي الشهيرة. ومكث

بالكويت حوالي ١٥ عاماً. وعاد إلى مصر بعد غزو العراق للكويت. وصار مديراً لمكتب مجلة العربي بالقاهرة إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

تفتح وجدان أبوالنجا الأدبي على قراءات ألف ليلة وليلة وسيرة أبوزيد الهلالي وغيرها من السير الشعبية حينما كان يقرأها في الصبا الباكر لبعض أهالي قريته، حيث كانوا يطلبون منه قراءتها لهم مما كان يملؤه شعوراً بالاعتزاز بنفسه. كما فتح له المنفلوطي وجبران خليل جبران وإيليا أبوماضي وأمين الريحاني وغيرهم الباب واسعاً لعالم الإبداع فقد بدأ يدرك أن وراء حدود قريته الصغيرة والضيقة عوالم واسعة. ونظراً لأن شخصيته كانت تميل للانطوائية والتأمل، بدأ رحلته بكتابة بعض الخواطر التي واظب على كتابتها فترة طويلة وتعلم من قراءاته وخبراته المستمدة من تجاربه. ونشر في بداية حياته الأدبية مجموعة من القصص القصيرة في مجلّة الرسالة التي يرأسها أحمد حسن الزيات في الفترة من عام ١٩٤٩ إلى ١٩٥٢. وتميز أبوالنجا في كتابة القصة القصيرة. ويعد أبرز أديب كتب القصة النفسية. وفي حوار معه يقول معللاً ذلك: «إن الجانب النفسي الداخلي للإنسان بشكل عام وللشخصية الروائية بخاصة هو الجانب الذي تسعى كل الأعمال القصصية أو الروائية لرصد حركته وتسجيل نبضاته بقوة وأمانة». وكان له لونه الخاص بين أبناء جيل الخمسينيات الذي ظهر فيهم أمير القصة القصيرة وأنطون تشيكوف مصر الدكتور يوسف إدريس. وكان أبوالنجا في كتابته للقصة القصيرة يميل للتأمل والحس النفسي والفلسفي والنهايات المفتوحة. وكان أقرب في كتابته إلى ابن جيله يوسف الشاروني أكثر من ميله إلى ابن جيله الآخر يوسف إدريس على الرغم من النزعة الواقعية في كتابته. غير أن موهبة يوسف إدريس الكبيرة وحضوره القوي في الصحافة والسينما وتوجهه السياسي وآراؤه وشخصيته الطاغية غطت على كل معاصريه وقللت من نسبة حضور أبوالنجا وغيره، فضلاً عن سفره وإقامته الدائمة في الكويت، مما جعله ينقطع عن الوسط الأدبي المصري، فضلاً عن أن الرجل لم يكن مقاتلاً كبيراً كي يبرز نفسه بالقوة.

وكتب أبوالنجا ونشر عدداً من عدة مجموعات قصصية بديعة وكانت تتنشر بالتوزان بين دار الآداب في بيروت والهيئة العامة للكتاب ودار الهلال بالقاهرة. وكانت أول مجموعاته «فتاة المدينة» (عن دار الآداب البيروتية) التي كتب الناقد الراحل أنور المعداوي مقدمة نقدية لها ولقيت هذه المجموعة ترحيباً كبيراً من نقاد هذه المرحلة، و«الابتسامة الغامضة»، و«الناس والحب»، «الوهم والحقيقة»، و«مهمة غير عادية»، و«الزعيم»، و«الجميع يربحون الجائزة» و«في هذا الصباح». وكتب روايتين هما: «العودة من المنفى»، و«ضد مجهول» عن جريمة قتل. وأصدر كتاباً نقدياً واحداً بعنوان «طرق متعددة لمدينة واحدة».

وأبرز أعماله هي دون شك روايته الشهيرة والمهمة والكبيرة (٣٩٨ صفحة) «العودة من المنفى» (١٩٦٩) التي تم اختيارها كواحدة من أفضل مائة رواية عربية. وتدور الرواية حول خطيب ثورة العرابية المفوه عبدالله النديم الذي اختاره الكاتب لحسه الوطني الكبير كي يعبر عن مأساة الشعب المصري في ظل هزيمة الدولة الناصرية. فقد عاد النديم إلى مصر من منفاه في

أرض فلسطين إلى مصر في ظروف تشبه ظروف هزيمة مصر في عام ١٩٦٧ في وطن مهزوم يلعق أهله جراحه ومرارة الهزيمة النكراء وضراوة الاستعباد والتسلط والقهر، وكأن الوطن منفى جديد آنذاك. وفي هذا الرواية يلقي أبوالنجا الضوء على ثورة يوليو وتحولها إلى كابوس نتيجة هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ وبحث الناس الحثيث عن طريق للخلاص وسط الظلام الذي كان يكسو المشهد المصري عشية الهزيمة. وأصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب أعمال أبوالنجا الكاملة في عدة مجلدات في أوائل التسعينيات من القرن العشرين.

وكتب أبوالنجا النقد الأدبي أيضاً وقدم عدداً من الأدباء والكتاب في الوسط الأدبي العربي. ونقل المشهد الثقافي المصري للعالم العربي من خلال مشاركته وتغطيته للأحداث الثقافية منذ أن استقر بها المقام في القاهرة. ونظم مسابقات للقصة القصيرة بمجلة العربي واحتضن الأدباء والكتاب الشبان أمثال محمد المخزنجي ومحمد المنسي قنديل اللذين كانا من كواكب مجلة العربي.

وامتدت معرفتي وصداقتي للكاتب الكبير لما يقرب من عشرين عاماً عندما بدأ نشر أول مقال لي في مجلة العربي في عام ١٩٩٧ في الذكرى الماسية لاكتشاف مقبرة الفرعون الذهبي الملك الأشهر توت عنخ آمون. وكم كان احتفاؤه بي وبالمقال وكان متعجباً من جودة المقال وصغر سني؛ إذ كنت قد تخرجت لتوي من كلية الآثار في جامعة القاهرة، وكان يعتقد أنني كبير السن، ودهش عندما رآني وعلم أنني في أوائل العشرينيات من عمري وحديث التخرج!

وعند ومع أبوالمعاطي أبوالنجا، دائماً، تقابل الأحباء من الكتاب والمثقفين الأصدقاء أمثال وزير الثقافة الأسبق والمفكر الكبير الدكتور جابر عصفور، والدكتور محمد الرميحي والدكتور سليمان العسكري رئيسي تحرير مجلة العربي بعد الكاتب المؤسس لها الدكتور أحمد زكي والكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، والكاتب سليمان فياض، والدرعمي الرقيق وزميل الدراسة للراحل الشاعر الكبير فاروق شوشة الذي كان له باب ثابت بعنوان «لغتنا الجميلة» في مجلة العربي، والشاعر الكبير المجدد محمد عفيفي مطر، والقاص البارع سعيد الكفراوي الذي عمل لفترة معه مسؤولاً عن مجلة العربي الصغير، والروائي الكبير إبراهيم عبدالمجيد، والكاتب الدكتور محمد المنسي قنديل والقاص الدكتور محمد المخزنجي اللذين كان من كتاب مجلة العربي المقيمين في الكويت، والكاتب عزت عامر الذي تولى ملف مجلة العربي الصغير بعد رحيل الكاتب سعيد الكفراوي عنها، والمفكر الراحل الدكتور عبدالوهاب المسيري، وغيرهم الكثير؛ فقد أبوالنجا يحب أن يجمع الحبايب حوله.

ومرض أبوالنجا مرضا شديداً أقعده عن الذهاب إلى مكتب مجلة العربي بالقاهرة في مقرها الثالث بعد أن كان أولاً في شارع قصر العيني، ثم انتقل إلى المكتب الإعلامي الكويتي بالمهندسين، ثم انتقل أخيراً إلى المقر الحالي على ترعة المريوطية في منطقة الهرم بالجيزة. كم كنت أود أن أراه بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً وذهبت إليه في مجلة

العربي ولم أجده هناك كعادته دوماً. وكنت قد قررت الاتصال به للذهاب إليه وزيارته في بيته غير أن أمر الله كان قد نفد.

لقد كان أبوالنجا إنساناً رقيقاً ومجاملاً إلى أقصى درجة، ونبيلاً بحق، وشديد الحياء بشكل ليس له مثيل. وكان يلقى كل من يقابله صغيراً كان أم كبيراً بالابتسامة الجميلة وبالتحية الواجبة وبالحفاوة البالغة مما يجعل المرء يحس بأهميته عند هذا الكاتب الكبير والإنسان الشديد التواضع والاحتفاء بالبشر.

وفي نهاية التسعينيات عندما تم تكريمه في أتلييه القاهرة للفنانين والكتاب، قبل على مضض. وبدأ الحديث عن نفسه الفنانة القلقة مستشهداً ببيت من شعر الراحل الكبير أمل دنقل قائلاً: «متي القلب في الخفقان اطمئن». هذا هو أبوالمعاطي أبوالنجا الكاتب الرقيق والإنسان النبيل الذي لم يطمئن قلبه عن الخفقان يوما مثله مثل أمل دنقل. رحم الله الكاتب الكبير محمد أبوالمعاطي أبوالنجا. ويقول أبوالمعاطي أبوالنجا في مجموعته القصصية «الزعيم»: «لماذا يحرص الناس على الموت في بلادهم مع أنهم أقل حرصاً على الحياة فيها؟».

أبوالمعاطي أبوالنجا كاتب عملاق ومهم علينا اكتشافه والاحتفاء بأعماله بعد رحيله ونشر أعماله بين الأجيال الجديدة التي لا تعرفه وتدهش من روعة أعماله الأدبية؛ فقد كان الرجل عازفاً عن الشهرة وكان قليل الظهر والتهافت على الإعلام.

بوابة الفجر

الأحد ٢٥ ديسمبر ٢٠١٦

محمد حسن عبد الله يكتب (جرة ربابة):

وداع وحنين

ورحل محمد أبو المعاطي أبو النجا دون أن يحدث جلبة من أي نوع أو درجة، رحل في سلام وكانت حياته كذلك، قرأت النبأ في الصحف مع أن بيته (في المعادي) ليس بعيداً عن بيتي، كما أن مسقط رأسه الريفي (قرية الحصاينة) لم تكن بعيدة عن قريتي (تمي الإنديد) أول معرفتي باسمه حين نشرت له مجلة الآداب البيروتية قصته التي فازت بمسابقتها، لفتني إليها بلدياته محمود العزب زميلي بالرابعة الثانوية بمعهد المنصورة الديني. العزب من قرية (ديو) المجاورة للحصاينة. أعجبتني القصة كان موضوعها عن سباق سباحة في النيل تعرفت على أهم جوانب حرفيته في الكتابة.

سبقت أبو المعاطي إلى الكويت ببضعة أعوام، كان مدرساً بمدرسة المثنى المتوسطة حين كانت في شارع الجهراء فسعيت في أن ينقل إلى ديوان الوزارة فألحق بمكتب الوكيل المساعد، ثم قدمته إلى الدكتور محمد الرميحي رئيس تحرير مجلة العربي وزميلي في الجامعة فأعجب به وضمه إلى المجلة فأضاف إليها محمد المخزنجي ومحمد مستجاب وملحقاً عن الطفل.

كان أبو المعاطي محسوباً على اليسار المصري. من ثم كان على مقربة من الدكتور عبد المحسن بدر وصديقاً لسليمان فياض، ومحفوظ عبد الرحمن، وحين كان فاروق شوشة يمر بالكويت فإن أول "عزومة" لفاروق كانت تجمعنا في بيت أبو المعاطي.

كان أبو المعاطي وادعاً عازفاً عن العراك الفعلي أو الثقافي مع استنارة تذكرك بالماء العذب والنسيم البليل وبهذه الروح كتبت عنه ويكفي أن يعنون إحدى قصصه بـ: "الجميع يربحون الجائزة !! "

لم تكن وداعة أبو المعاطي تحول دون صرامة أحكامه وشناعة بعض تعبيراته، وأذكر أن ثروت أباظة حدثني عن رأي غير طيب لأبو المعاطي في كتابته (لا أعرف كيف) فكان تعليق الأباظي قاسياً جداً، وبالطبع احتفظت به لنفسي وما كان لي أن أبلغه إياه.

حين كتبت مسرحية "حادثة خط الاستواء" - وكنا في الكويت- أعطيت نسختها الخطية لأبو المعاطي أستطلع رأيه. بعد يومين جاء يحمل النسخة ويسألني كيف كتبت هذا العمل؟- رأيت في طرح هذا السؤال ما يحمل دلالة ضمنية أنه لم يكن شديد الثقة أو كامل الرضا عن قدراتي في التأليف- فقلت له ببساطة: كتبته وأنا في السرير تحت البطانية هرباً من البرد!! قال أبو المعاطي ببساطة الصوفي الزاهد وصدقه: إن كل ما كتبته أنا – يقصد نفسه – هو عندي بمثابة بري القلم استعداداً لأن أنجز عملاً مثل هذه المسرحية!! هكذا لم يتردد أو يتحفظ في إبداء إعجابه وهذا لا يحدث إلا من نفس صافية حقاً.

أما النادرة المتداولة في الشلة التي كان أبو المعاطي متواشجاً معها أن الجماعة المشار إليها افترضت في جلسة استرخاء أن فاروق شوشة يريد أن يرسل أخته من القاهرة إلى دمياط، فمن الذي يأتمنه فاروق عليها؟ أجمع أعضاء الشلة على أن أبو المعاطي هو الجدير بأداء هذا الواجب في صورته الصحيحة !! مضت هنيهة قلب فيها أبو المعاطي الاحتمالات في ذهنه فأدرك المغزى البعيد وهنا قام غاضباً موجهاً حديثه إليهم: منعول أبوكم يا ولاد ...

رحم الله أبو المعاطي الصديق النبيل، وزمانه الجميل.

٢٤

بوابة الأهرام – ٤ يناير ٢٠١٧

الحسين عبد البصير

الراحل أبو المعاطي أبو النجا.. "ملتقى الأحبّاء"

الحسين عبد البصير

رحل عن عالمنا الكاتب الروائي والقاص الكبير محمد أبو المعاطي أبو النجا عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وُلد الكاتب الكبير في قرية الحصاينة من أعمال مركز ومدينة السنبلاوين في مديرية الدقهلية في العام ١٩٣٥. وأُطلق عليه اسم أبو المعاطي على اسم أحد أولياء الله الصالحين في المنطقة.

ثم التحق بالمعهد الديني في مدينة الزقازيق بالشرقية، نفس المعهد الذي درس فيه العمالقة فضيلة الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي، ووزير الثقافة الأسبق الراحل الدكتور أحمد هيكل، والكاتب الكبير واللغوي والأديب الفذ سليمان فياض، بلديات الكاتب الراحل وصديق عمره ورفيق دربه ورحلته الأدبية الطويلة.

وتخرج الكاتب الكبير في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، مع الكاتب سليمان فياض، والناقد وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الأميركية الدكتور محمود الربيعي. وحصل على دبلوم التربية من كلّية التربية جامعة عين شمس.

وبدأ حياته الوظيفية لمدة أعوام قليلة بالتدريس كما عمل محرراً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لمدة اثنى عشر عاماً. ثم سافر في نهاية عام ١٩٧٤ للعمل كمدير للعلاقات العامة والإعلام في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي بالكويت لمدة عشرة أعوام. ثم التحق بمجلة العربي الشهيرة. ومكث بالكويت حوالي ١٥ عاماً. وعاد إلى مصر بعد غزو العراق للكويت. وصار مديراً لمكتب مجلة العربي بالقاهرة إلى أن توفاه الله إلى رحمته.

تفتح وجدان أبوالنجا الأدبي على قراءات ألف ليلة وليلة وسيرة أبو زيد الهلالي وغيرها من السير الشعبية حينما كان يقرأها في الصباح الباكر لبعض أهالي قريته، حيث كانوا يطلبون منه قراءتها لهم مما كان يملؤه شعوراً بالاعتزاز بنفسه. كما فتح له المنفلوطي وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وأمين الريحاني وغيرهم الباب واسعاً لعالم الإبداع فقد بدأ يدرك أن وراء حدود قريته الصغيرة والضيقة عوالم واسعة. ونظراً لأن شخصيته كانت تميل للانطوائية والتأمل، بدأ رحلته بكتابة بعض الخواطر التي واظب على كتابتها فترة طويلة وتعلم من قراءاته وخبراته المستمدة من تجاربه. ونشر في بداية حياته الأدبية مجموعة من القصص القصيرة في مجلّة الرسالة التي يرأسها أحمد حسن الزيات في الفترة من عام ١٩٤٩ إلى ١٩٥٢. وتميز أبو النجا في كتابة القصة القصيرة. ويعد أبرز أديب كتب القصة النفسية. وفي حوار معه يقول معللاً ذلك: "إن الجانب النفسي الداخلي للإنسان بشكل عام وللشخصية الروائية بخاصة هو الجانب الذي تسعى كل الأعمال القصصية أو الروائية لرصد حركته وتسجيل نبضاته بقوة وأمانة".

وكان له لونه الخاص بين أبناء جيل الخمسينيات الذي ظهر فيهم أمير القصة القصيرة وأنطون تشيكوف مصر الدكتور يوسف إدريس. وكان أبو النجا في كتابته للقصة القصيرة يميل للتأمل والحس النفسي والفلسفي والنهايات المفتوحة. وكان أقرب في كتابته إلى ابن جيله يوسف الشاروني أكثر من ميله إلى ابن جيله الآخر يوسف إدريس على الرغم من النزعة الواقعية في كتابته. غير أن موهبة يوسف إدريس الكبيرة وحضوره القوي في الصحافة والسينما وتوجهه السياسي وآراءه وشخصيته الطاغية غطت على كل مجايليه وقللت من نسبة حضور أبو النجا وغيره، فضلاً عن سفره وإقامته الدائمة في الكويت، مما جعله ينقطع عن الوسط الأدبي المصري فضلاً عن أن الرجل لم يكن مقاتلاً كبيراً كي يبرز نفسه بالقوة.

وكتب أبو النجا ونشر عدداً من عدة مجموعات قصصية بديعة وكانت تتنشر بالتوزان بين دار الآداب في بيروت والهيئة العامة للكتاب ودار الهلال بالقاهرة. وكانت أول مجموعاته "فتاة المدينة" (عن دار الآداب البيروتية) التي كتب الناقد الراحل أنور المعداوي مقدمة نقدية لها ولقيت هذه المجموعة ترحيباً كبيراً من نقاد هذه المرحلة، و"الابتسامة الغامضة"، و"الناس والحب"، "الوهم والحقيقة"، و"مهمة غير عادية"، و"الزعيم"، و"الجميع يربحون الجائزة" و"في هذا الصباح". وكتب روايتين هما:" العودة من المنفى"، و"ضد مجهول" عن جريمة قتل. وأصدر كتاباً نقدياً واحداً بعنوان "طرق متعددة لمدينة واحدة".

وأبرز أعماله هي دون شك روايته الشهيرة والمهمة والكبيرة (٣٩٨ صفحة) "العودة من المنفى" (١٩٦٩) التي تم اختيارها كواحدة من أفضل مائة رواية عربية. وتدور الرواية حول خطيب ثورة العرابية المفوه عبد الله النديم الذي اختاره الكاتب لحسه الوطني الكبير كي يعبر عن مأساة الشعب المصري في ظل هزيمة الدولة الناصرية. فقد عاد النديم إلى مصر من منفاه في أرض فلسطين إلى مصر في ظروف تشبه ظروف هزيمة مصر في عام ١٩٦٧ في وطن مهزوم يلعق أهله جراحه ومرارة الهزيمة النكراء وضراوة الاستعباد والتسلط والقهر، وكأن

الوطن منفى جديد آنذاك. وفي هذه الرواية يلقي أبو النجا الضوء على ثورة يوليو وتحولها إلى كابوس نتيجة هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ وبحث الناس الحثيث عن طريق للخلاص وسط الظلام الذي كان يكسو المشهد المصري عشية الهزيمة. وأصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب أعمال أبو النجا الكاملة في عدة مجلدات في أوائل التسعينيات من القرن العشرين. وكتب أبوالنجا النقد الأدبي أيضاً وقدم عدداً من الأدباء والكتاب في الوسط الأدبي العربي. ونقل المشهد الثقافي المصري للعالم العربي من خلال مشاركته وتغطيته للأحداث الثقافية منذ أن استقر بها المقام في القاهرة. ونظم مسابقات للقصة القصيرة بمجلة العربي واحتضن الأدباء والكتاب الشبان أمثال محمد المخزنجي ومحمد المنسي قنديل اللذين كانا من كواكب مجلة العربي.

وامتدت معرفتي وصداقتي للكاتب الكبير لما يقرب من عشرين عاماً عندما بدأ نشر أول مقال لي في مجلة العربي في عام ١٩٩٧ في الذكري الماسية لاكتشاف مقبرة الفرعون الذهبي الملك الأشهر توت عنخ آمون. وكم كان احتفاؤه بي وبالمقال وكان متعجباً من جودة المقال وصغر سني؛ إذ كنت قد تخرجت لتوي من كلية الآثار في جامعة القاهرة، وكان يعتقد أنني كبير السن، ودهش عندما رآني وعلم أنني في أوائل العشرينيات من عمري وحديث التخرج! وعند ومع أبو المعاطي أبو النجا، دائماً، تقابل الأحباء من الكتاب والمثقفين الأصدقاء أمثال وزير الثقافة الأسبق والمفكر الكبير الدكتور جابر عصفور، والدكتور محمد الرميحي والدكتور سليمان العسكري رئيسي تحرير مجلة العربي بعد الكاتب المؤسس لها الدكتور أحمد زكي والكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، والكاتب سليمان فياض، والدرعمي الرقيق وزميل الدراسة للراحل الشاعر الكبير فاروق شوشة الذي كان له باب ثابت بعنوان "لغتنا الجميلة" في مجلة العربي، والشاعر الكبير المجدد محمد عفيفي مطر، والقاص البارع سعيد الكفراوي الذي عمل لفترة معه مسؤولاً عن مجلة العربي الصغير، والروائي الكبير إبراهيم عبد المجيد، والكاتب الدكتور محمد المنسي قنديل والقاص الدكتور محمد المخزنجي اللذين كان من كتاب مجلة العربي المقيمين في الكويت، والكاتب عزت عامر الذي تولى ملف مجلة العربي الصغير بعد رحيل الكاتب سعيد الكفراوي عنها، والمفكر الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيري، وغيرهم الكثير؛ فقد أبو النجا يحب أن يجمع الحبايب حوله.

ومرض أبو النجا مرض شديداً أقعده عن الذهاب إلى مكتب مجلة العربي بالقاهرة في مقرها الثالث بعد أن كان أولاً في شارع القصر العيني، ثم انتقل إلى المكتب الإعلامي الكويتي بالمهندسين، ثم انتقل أخيراً إلى المقر الحالي على ترعة المريوطية في منطقة الهرم بالجيزة. كم كنت أود أن أراه بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية مؤخراً وذهبت إليه في مجلة العربي ولم أجده هناك كعادته دوماً. وكنت قد قررت الاتصال به للذهاب إليه وزيارته في بيته غير أن أمر الله كان قد نفد.

لقد كان أبو النجا إنساناً رقيقاً ومجاملاً إلى أقصى درجة، ونبيلاً بحق، وشديد الحياء بشكل ليس له مثيل. وكان يلقى كل من يقابله صغيراً كان أم كبيراً بالابتسامة الجميلة وبالتحية الواجبة

وبالحفاوة البالغة مما يجعل المرء يحس بأهميته عند هذا الكاتب الكبير والإنسان الشديد التواضع والاحتفاء بالبشر.
وفي نهاية التسعينيات عندما تم تكريمه في أتلييه القاهرة للفنانين والكتاب، قبل على مضض. وبدأ الحديث عن نفسه الفنانة القلقة مستشهداً ببيت من شعر الراحل الكبير أمل دنقل قائلاً:"متي القلب في الخفقان اطمئن". هذا هو أبو المعاطي أبو النجا الكاتب الرقيق والإنسان النبيل الذي لم يطمئن قلبه عن الخفقان يوما مثله مثل أمل دنقل. رحم الله الكاتب الكبير محمد أبو المعاطي أبو النجا. ويقول أبو المعاطي أبو النجا في مجموعته القصصية "الزعيم": "لماذا يحرص الناس على الموت في بلادهم مع أنهم أقل حرصاً على الحياة فيها؟".
أبو المعاطي أبو النجا كاتب عملاق ومهم علينا اكتشافه والاحتفاء بأعماله بعد رحيله ونشر أعماله بين الأجيال الجديدة التي لا تعرفه وتدهش من روعة أعماله الأدبية؛ فقد كان الرجل عازفاً عن الشهرة وكان قليل الظهور والتهافت على الإعلام.

المصري اليوم في ٤ يناير ٢٠١٧

دكتور محمد المخزنجي

يرحلون ليعودوا أبهى وأنضر

«نحن محكومون بالأمل» قالها الكاتب المسرحى البديع سعدالله ونوس وهو فى مرحلة متقدمة من المرض العضال. وكنت أظنه يُعبِّر عن المقاومة المعنوية لعوامل التدمير المادى لأجسادنا ووجودنا، لكننى أعتقد الآن أن عبارته لم تكن إلا تعبيرا عن قانون من قوانين استمرار الحياة فينا ومن حولنا، يؤكدها صراع الحياة كما وداعة الرحيل. وتوثّق تأكيدها أطول الكائنات عمرا على وجه الأرض: الأشجار. وأخص منها شجرتين فى بلادنا، هما الجكاراندا والبونسيانا.

شجرة البونسيانا تفرد مظلاتها الخضراء لترحمنا من هجير الصيف وتبهج عيوننا بحمرة زهورها

فى آخر أيام العام المنصرم الحافل بالإحباط، عرفت برحيل أحد أصدقاء العمر، الدكتور سالم أحمد سلّام، أستاذ طب الأطفال بجامعة المنيا، وكنت قبله بأيام فى عزاء صديق فى مقام الأب، هو الأستاذ أبو المعاطى أبو النجا. صدمنى نبأ رحيل سالم، برغم أننى ومجموعة من أصدقاء طب المنصورة كنا فى زيارته بالمستشفى قبل بضعة أيام، وكان برغم معنوياته العالية النابعة من تسليمه الجسور - كطبعه دائما - بقدره المؤلم، ينبئنا عن وصول المرض إلى مرحلة متقدمة لا أمل فيها، ومع أن النتيجة كانت متوقعة، إلا أن الفراق يظل فاجعا، خاصة عندما يكون من يفارقوننا جزءا عزيزا من زهرة أعمارنا.

ضربنى الصمت والشرود.فور أن تلقيت النبأ، وكان عسيرا أن ألحق بالتشييع فى المنصورة، فوجدت نفسى أنتحى بزجاج الواجهة لأطل على الشارع، وكأننى أود لو أهيم فى الطرقات تاركا ذهنى للتداعيات التى تستحضر الذكريات مع الراحلين، وقبض قلبى أن وجدت شجر البونسيانا الذى كان يعوض بؤس طاحونة المرور فى شارعنا بترف جماله، قد ذهبت أزهاره وأعتمت مصفرةً خضرة هاماته، مؤذنة بقرب تساقط الأوراق، وترك هذه الأشجار عارية جافة.

وعندما خطر لى أن أنظر باتجاه شجرة الجكاراندا فى فناء السفارة القريبة، تذكرت أنهم قطعوها لأسباب لن تكون إلّا همجية أو بهيمية، وتعبر عن استهانتهم بنا كما تعبر عن استهانتنا بأنفسنا، فقطع شجرة استثنائية الفتنة كالجكاراندا، فى شارع مدهوس بطاحونة المرور، فى أسوأ أحياء القاهرة تلوثا بالعوادم والضجيج، هو إثم عظيم، مُتبادَل!

الشجرة التى نُحرت فى مدخل السفارة، كانت كما أشجار الجكاراندا القليلة فى مصر، تتميز بخاصية مدهشة، إذ تبزغ زهورها البنفسجية الفاتحة على الفروع العارية قبل انبثاق أوراقها الريشية الخضراء، فما إن ينقضى الشتاء حتى تتألق هذه الزهور مُرصِّعة هامة الشجرة بنوراتها الأنبوبية الهفهافة، باعثة فى المتطلع إليها بهجة فورية عجيبة، وشيئا فشيئا مع تقدم الربيع يبدأ طلوع أوراقها فيما تأخذ زهورها فى التساقط، فتفرش الأرض تحتها ببساط بنفسجى سماوى، يجعل أكثر البشر غلظة يتحاشى دهسها. وسرعان ما يبدأ تساقط أوراقها زاهية الخضرة، فتعود عارية الغصون والفروع، لكن ذلك يتزامن مع إيناع اخضرار شجرة أخرى هى البونسيانا، التى أسميتها لعطائها وصدقها وصبرها، منذ عشرين سنة: «شجرة أبو النجا».

تعود الجكاراندا بعد نفض زهورها وأوراقها جافة عارية مع صعود حرارة الصيف، فيما تكون البونسيانا قد فجَّرت خضرة أوراقها الريشية المشابهة لأوراق الجكاراندا، وإن بغزارة وكثافة أعمق. وفى ذروة اشتعال هجير الصيف، تُرصِّع البونسيانا مظلات هاماتها الخضراء بانتشار عارم لزهورها الكبيرة الحمراء البرتقالية المتوهجة بفرح. ثم تتساقط هذه الأزهار مع انكسار ذروة الهجير، فتفرش الأرصفة تحتها بحمرتها، لكن الأوراق تظل على خضرتها حتى دخول الخريف. تَنَاوُبٌ عجيب بين الشجرتين اللتين تمنحان الظل والبهجة. فالجكارندا تبدأ إزهارها المفرح بعد الشتاء الكابى، ثم تنشر مظلاتها الخضراء الخفيفة لتناسب الحر اللين فى الربيع وأول الصيف، وينتهى دورها فتعود عارية جافة فيما يشبه السُبات النباتى مع تأجُّج حر الصيف، لكن ذلك يتزامن مع نهوض البونسيانا بالمهمة الأثقل لنشر الظل الكثيف والبهجة القانية. مناوبة تسليم وتسلُّم هائلة الإيثار، كما بين أجيال البشر الذين لايجدون سعادتهم إلا بأداء واجبهم نحو الأحياء والحياة، وقد كان الراحلَان العزيزَان منهم.

لقد رحل أبوالمعاطى أبوالنجا عن ٨٥ عاما فيما رحل سالم سلَّام فى السابعة والستين، وعندما أطللت محزونا على الشارع من وراء الزجاج فى آخر أيام ديسمبر المنصرم، جُوبِهت بغياب الجكاراندا المنحورة وإعتام مظلات البونسيانا التى بدت أوراقها منطفئة مصفرة إيذانا بقرب تساقطها المُنهمِر. صورة وداعية قاتمة ملأتنى بالأسى على عزيزين من جيلين مختلفين قدما أفضل ماليديهما لهذا الوطن، كلٌ فى نِطاقه، وكلٌ بطريقته، فماذا أخذا؟ تساءلت بمنطق المقارنة مع كثيرين غيرهما، لكن صوت سالم جاءنى من بعيد، من غرفة المستشفى التى التقيناه فيها قبل رحيله بأيام قليلة، كان مُتمدِّدا لا يقوى على الحركة، لكن ذهنه بقى مُتأجِّجا وذاكرته غنية، تكلم بتصالح مدهش مع قدره الصعب، وقال «يكفى أننا عشنا حياة جميلة» وأخذ يتذكر ببهجة ضاحكة مشاهد من تلك الأيام فتنشط لها ذاكراتنا، لتمتلئ حجرة المستشفى بضحكنا والمسرَّة، ويتردد الصدى الطيب فى صدرى من وراء زجاج الواجهة، فيطوف وجه أبوالمعاطى الحافل بالطمأنينة فوق مظلات البونسيانا، يُعيد إليها عمق خضرتها وتوهج نارية أزهارها التى من بَرد وسلام، هكذا كانت نقاشات أبوالمعاطى أبوالنجا الفلسفية، وإبداعه عميق الأغوار النفسية والجمالية، وإنسانيته الصاحية النادرة. راحلان من جيلين مختلفين، لكنهما متآلفان فى فضيلة أداء الواجب نحو الأحياء والحياة.

الأستاذ أبو المعاطى أبو النجا

يوم زيارة سالم التى لم نكن نحسبها وداعية، تذكرنا انتفاضة يناير٧٧ التى جمعتنا فى الميدان والسجن، وتوقفنا أمام مشهد زحف الحشود على مبنى مديرية الأمن القديم العريق فى المنصورة، وكيف خرج ضابطها الكبير وأعطى مفاتيح المديرية لسالم بعد أن جمع أسلحتها وخزنها فى مكان عصى على اقتحام من يتأبطون شرا، مندسين فى كل تجمهر وأى احتشاد. لفتة ذكية من رجل أمن خبير وبصير، أدرك ببديهة ثاقبة أن هذا الطالب القيادى المؤثر عنيد فى ثورته، لكنه أمين على بلده فى الوقت ذاته، رفض سالم المفاتيح وساهم فى إبعاد الحشود عن المديرية. لم يكن يطمع فى سلطة، مثلنا جميعا وحتى آخر أيامنا. كنا ومكثنا نعارض السُلطة فى عدم وفائها بواجبات العدل والحرية، لكننا لم نطمع أبدا فى اعتلاء صهوة أى سلطة، وبرغم حديثنا «الثورى» الجامح، كان فعلنا مُبكِّر الزهد لا يضعنا إلَّا فى قائمة «الإصلاحيين»، وكان السجن موعدنا مع ذلك. فأى حياة جميلة؟!

طالت وقفتى الشاردة وراء الزجاج، أطل على هامات أشجار البونسيانا التى تتهيأ للوقوف عارية الفروع تحت سماء الشتاء المُربَدَّة، وفجأة استدرج الخيال صورة بديلة لهذه الهامات التى قتمت، فلاحت لى مظلات وارفة خضراء مرصعة بحمرة الأزهار المتوهجة. ووجدت روحى تشرق بمعنى بعيد صار قريبا: هذه الأشجار تمتلك ذاكرة عجيبة، لايشوشها تلوث الهواء والضوضاء والإهمال، فهى تعرف مواعيد مناوباتها، تعرف الجدول السرمدى الذى تتبادل فيه الأدوار برحابة ورضا. لا تنتظر ثناءً ولا مكافأة، ولا حتى حسن معاملة، هى تؤدى واجبها الظليل والجميل فى شوارع الحياة مهما تجهمت فى وجهها الحياة، ولعل فى أداء الواجب هذا مرضاتها وسعادتها وكبرياء وجودها. تماما كأيام «الحياة الجميلة» التى عشناها - على حد التعبير الوداعى للدكتور سالم أحمد سلَّام- وفى نطاق رضا النفس المطمئنة التى كانت أهم وأكبر وأعظم جوائز الأديب والمثقف والمفكر والإنسان أبوالمعاطى أبوالنجا، الذى لم يسع أبدا لجائزة.

وفى غمرة هذا الاحتفاء بذاكرة أشجار الظل والجمال الحانية البديعة، لاحظت أن ذاكرتى وأنا أستعيد ذكرياتى مع الراحلَين العزيزَين تستحضر صورهما فى أوج عافيتهما ونضارة وجودهما المتألق المِعطاء، بينما استبعدت الذاكرة تماما صورتيهما أثناء المرض والذبول. وبالمراجعة انتبهت إلى أن كل تذكُّر لمن نحبهم ويطول غيابهم عنا، لا تستحضرهم الذاكرة إلا فى أبهى وأنضر صورهم، واكتشفت أن هذه الظاهرة الانتقائية للذاكرة، هى لا إرادية تماما، وهى مدهشة ومبهجة وتقول إن الله كريم معهم فينا، ورحيم بنا فيهم، يعوضنا بجمال ونضارة مرآهم عن افتقادنا لهم فى دنيا لم تعد كذلك، فنقوى على هذه الدنيا. رحم الله أبوالمعاطى أبوالنجا وسالم سلَّام، وكل أعزائنا الراحلين.

نحن لسنا فقط محكومين بالأمل، بل- يقينا- مفطورون عليه.

الأهرام – الجمعة ٦ يناير ٢٠١٧

أبو المعاطى أبو النجا .. بعيون رفاق الرحلة
رحيل الصديق المبدع

يوسف الشارونى

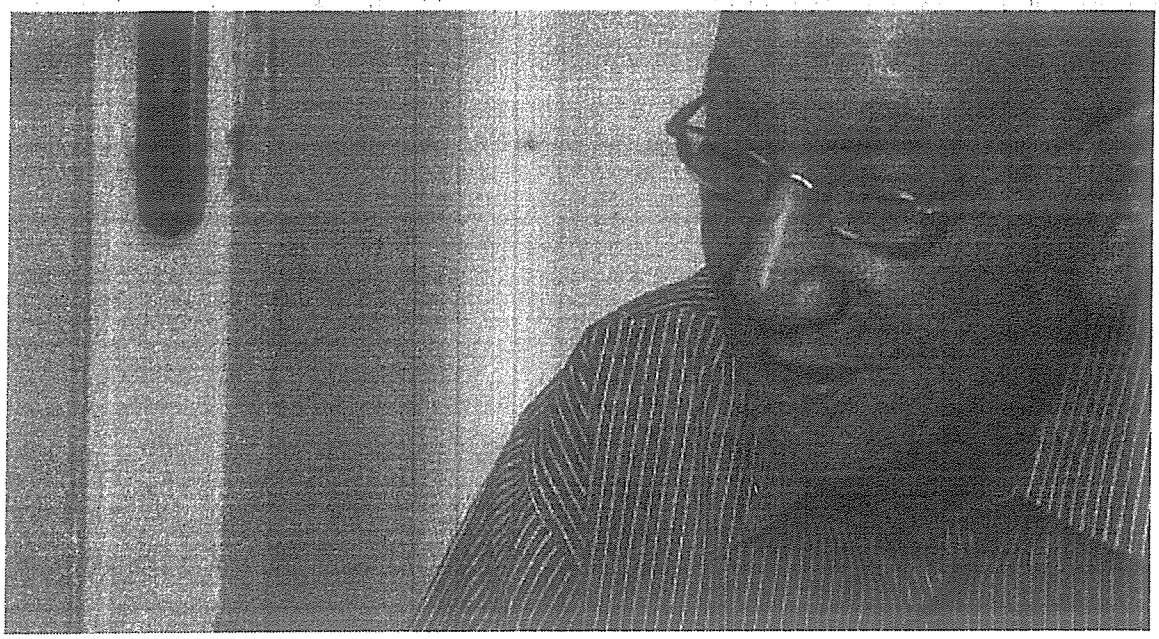

ولد محمد أبوالمعاطى أبوالنجا عام ١٩٣١ وتخرج فى كلية دار العلوم عام ١٩٥٦ ، ثم عمل بالتدريس لمدة أربع سنوات، ثم محررا بمجمع اللغة العربية حتى وصل إلى درجة رئيس تحرير لمدة ١٣ عاما، بعدها سافر إلى الكويت ليعمل فترة بالهيئة العامة للتعليم التطبيقى والتدريب ، وأخيرا انتقل للعمل محررا بمجلة العربى ومسئولا عن القسم الادبى بها، ومشرفا على مجلة العربى الصغير.

ويعتبر أبوالمعاطى أبوالنجا من الجيل الذى نطلق عليه جيل الستينيات، فقد نشر أول مجموعة قصصية له « فتاة فى المدينة « عام ١٩٦٠ ، ثم تلتها مجموعتاه «الابتسامة الغامضة» عام ١٩٦٣، فـ«الناس والحب» عام ١٩٦٦ ، فرواية « العودة من المنفي» عن حياة عبدالله النديم عام ١٩٦٩ ، ثم توالى نشر إنتاجه الأدبى فنشر «الوهم والحقيقة « عام ١٩٧٤ ، و»مهمة غير غادية» عام ١٩٨٠م، والزعيم «عام ١٩٨١» ، «فالجميع يربحون الجائزة» عام ١٩٨٤ وفى «هذا الصباح» عام١٩٩٩، أى أنه نشر سبع مجموعات قصصية بالإضافة إلى روايته « العودة من المنفى « والتى نال عنها جائزة الدولة التشجيعية فى الرواية عام ١٩٧٢ ، كما نشر رواية «ضد المجهول» عام ١٩٧٥ ، كذلك جمع بعضا من دراساته النقدية ونشرها عام ١٩٨٦ ، بعنوان «قراءة فى الرواية العربية.«

ولعل الموضوعين الرئيسيين اللذين يتمحور حولهما أدب محمد أبوالمعاطى أبوالنجا هما علاقة الفرد بالمجموعة، والظل الرهيف الذى يفصل بين الوهم والحقيقة، أزعم أن هذين المحورين هما المفتاحان لاكتشاف العالم القصصى عند «أبوالمعاطى أبوالنجا» قصة قصيرة أو رواية طويلة.

فالمجموعة القصصية «ابتسامة غامضة» تقدم لنا رؤية مؤلفها فى العلاقة بين الفرد ومجتمعه وأنها ليست علاقة واحدة متكررة، ذات نمط واحد، بل هى علاقة حية تختلف باختلاف العوامل والظروف، وقد تكون علاقة هدامة، كما قد تكون علاقة هادفة بناءة. بعد عشر سنوات من مجموعته الثانية «الابتسامة الغامضة» نشر أبوالمعاطى أبوالنجا مجموعته القصصية الثالثة «الوهم والحقيقة» ، وهى مجموعة تدل على تطور فن القصة القصيرة لديه، فبعد أن كان شغله الشاغل علاقة الفرد بالمجموع أصبح ما يؤرقه فى مجموعته القصصية «الوهم والحقيقة» هو هذا الظل الرهيف الذى يفرق بين الوهم والحقيقة، فالقصة تلو القصة تلقى علينا هذا اللغز تطلب منا حله : هل هناك وهم وهل هناك حقيقة؟ وهكذا أصبح بطل الوهم والحقيقة أكثر انطواء على نفسه وأكثر انشغالا بقضايا ميتافيزيقية بعد أن كان أبطال المجموعتين السابقتين الأوليين «فتاة فى المدينة» و»الابتسامة الغامضة» أكثر انشغالا بقضايا اجتماعية ، إن الفرد الذى كان فى مواجهة المجموع فى المجموعتين السابقتين يتحداه حينا ويخضع له حينا ، نجده فى مجموعتنا الحالية يدع المجموع ويعكف على ذاته باحثا عن ظلال المعانى الفلسفية، لعل هذا التحول كان أثرا من أثار صدمة هزيمة ١٩٦٧، حيث اختلطت الأمور وانكسرت الأحلام.

وهكذا فإننا لا ندرى أين الوهم وأين الحقيقة، وما حسبناه وهما فى البداية أصبح كأنه الحقيقة فى النهاية ، لهذا كثر استخدام اللفظ وضده الجيد والرديء، الصواب والخطأ، الحرية والنظام ، ربما يعرفون كل شيء وربما لا يعرفون شيئا .. إلخ.

وقصص المجموعة كلها فى خط الزوال، وكلما كانت هناك محاولة للإمساك بالظلال بين المتضادات أفلتت كالشعاع، لهذا ترددت فى أسلوب أبوالمعاطى أبوالنجا ألفاظ جديدة فى هذه المجموعة، وعرف الجدل طريقه بين المعنى وضده – لا أقول نقيضه لأن النقيضين لا يلتقيان، أما الضدان فتمتد بينهما ما لا نهاية له من الظلال – وقد عشنا بفضل مجموعة «الوهم والحقيقة» فى هذه الظلال، وهى تلقى علينا سؤالا تلو سؤال لنحصل على الإجابة أخيرا أن الحقيقة هى ما نفعله حين نواجه الموت، وأننا لا نكتشفها فقط فى تلك اللحظة بل نصنعها أيضا ، وهى إجابة أشبه بالنبوءة لما دار من معارك على جبهة قناة السويس فى أكتوبر عام ١٩٧٣ ، حيث إن أحدث قصص المجموعة كتبت قبل ذلك بثلاث سنوات على الأقل، فلئن كان من الصحيح أن بعض قصص المجموعة انعكست عليها أصداء هزيمة ١٩٦٧ ، فإن بعضها الآخر كان محاولة للبحث عن الإجابة على التساؤل الذى أثاره اختلاط الوهم والحقيقة. وهكذا حقق أبوالمعاطى أبوالنجا وظيفة من أهم وظائف الفن على مر التاريخ، تلك هى وظيفة النبوءة، بل إنه بهذا الحل أو الإجابة حقق التحاما بين عالم الذات المنطوى على التأملات

الميتافيزيقية، حيث تفر الحقيقة كما يفر الشعاع من قبضة اليد، وعالم الواقع الحى الذى يضج بالعنف إلى درجة مواجهة الموت حيث الحقيقة بل صنع الحقيقة.

لا عجب إذن أن يتفق ناقدان كبيران هما الأستاذان فؤاد دوارة والدكتور عبد القادر القط على رؤيتهما اللتين تبدوان كأنهما من زاويتين متضادتين، فبينما يصف فؤاد دواره فى رؤيته التركيبية أن أبوالمعاطى أبو النجا أشبه بالغازلة التى تجمع خيوطها الدقيقة فى أناة وصبر لتصنع منها فى النهاية عملاً رائعا يبهر العيون، يرى الدكتور عبدالقادر القط فى رؤيته التحليلية أن أبو المعاطى أبو النجا من ألمع كتاب القصة النفسية عندنا ومن أبرزهم على تفتيت اللحظة النفسية الواحدة إلى لحظات جزئية غنية بالدلالات، وعلى توليد كثير من المعانى المفردة من معنى كلي، لتصبح القصة على قلمه أشبه بالقصيدة التى تدور حول إحساس واحد، وهما رؤيتان – على نحو ما نرى – تكمل إحداهما الأخرى وتشيد بالسمة التى يتميز بها الأسلوب القصصى عند محمد أبوالمعاطى أبوالنجا.

وقد كنا على اتصال دائم قبل ذهابه إلى الكويت للتدريس أولا ثم العمل بمجلة العربي. وبعد عودته مراسلها فى القاهرة. وجيرانا بضاحية المعادى نتزاور قبل انتقالى من هذه الضاحية. ومن مواقفه الكريمة التى لا انساها أن صحيفة الوطن الكويتية نشرت فى ١٠ يناير ١٩٨١مقالاً عنوانه «أحد أطباء علم النفس يحصل على جائزة الرواية عن رواية لم تقرأها لجنة الجوائز» وملخص المقال ان يوسف الشارونى عضو لجنة جوائز الدولة التشجيعية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) « الرجل القوى الذى يقف وراء الكثير من القرارات فى مسألة جوائز الدولة، يوسف الشارونى هذا له نجل يدرس الطب النفسى على يدى يحيى الرخاوي، فأراد الشارونى أن يقدم السبت ليرد عليه الرخاوى فى يوم الأحد على طريقة شيلنى وأشيلك المصرية لدرجة أن يحيى حقى عضو لجنة القصة أكد لبعض أصدقائه أن أحداً من أعضاء اللجنة لم يقرأ هذه القصة أبدا ، لكن الشارونى قال له إن الرواية كرمتها صحف الخليج العربى ، وكُتبت آلاف الدراسات عنها فى هذه الصحف ، فيجب أن تُمنح الجائزة. هكذا وافقت اللجنة على «التمرير». فاستفز هذا المقال أخى الأستاذ أبو المعاطى –وهو يعمل بالكويت – وتطوع مشكوراً ليرد فى الجريدة نفسها بتاريخ ١٤يناير ١٩٨١ بمقال عنوانه «رواية الرخاوى عملُ فنى رائع لا علاقة له بغير الفن والفكر ... ورغبة فى أن لا يُظلم إنسان أو تضيع حقيقة ، أرى أن واجب الأمانة يدفعنى إلى كتابة هذا التعليق الموجز على نفس ما جاء فى (رسالة مصر) المنشورة بجريدة الوطن الغراء بتاريخ السبت ١٠ يناير ١٩٨١ تحت عنوان «كامب ديفيد النفسي». وبعد أن يناقش ما جاء من أخبار بالمقال لا صحة لها مثل اشتراك يحيى الرخاوى فى مؤتمر جامعة بنسلفانيا عن استخدامات علم النفس لحل الصراعات الدولية عنوانه : «مؤتمر كامب ديفيد لعلم النفس» هدفه التطبيع مع إسرائيل مع أن الرواية التى حصلت على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٢ وكتبت عنها مقالا فى مجلة إبداع عدد مايو ١٩٨٣. والأستاذ محمد أبو المعاطى أبو النجا كان له فضل تعريفى بالمبدع المتميز قريبه الدكتور جمال الدين موسى وزير التعليم الأسبق وروايته «فى وادى الحنين» (دار نهضة مصر، ٢٠١٥) التى نشرت عنها مقالا فى يناير من هذا العام ٢٠١٦ فى مجلة الثقافة الجديدة بعد أن نشر الأستاذ أبو

المعاطى مقالا عن روايته «فتاة هيدلبرج الأمريكية» (دار نهضة مصر ، ٢٠١٤.(وكان أخر لقاءاتنا التليفونية منذ أسابيع وهو يتردد على المستشفى حتى قرأت خبر رحيله فى أواخر هذا الشهر من عام ٢٠١٦.

الأهرام – الجمعة ٦ يناير ٢٠١٧

وصانع «الابتسامة الغامضة» و«العائد من المنفي«

د. يوسف نوفل

فى مسيرة السرد العربى فى مصر علامات تتّخذ من المجايلة رمزا تعبيريا عنها ،رجوعا إلى الدور الفنى البارز للجيل الفنى الجامع لها ولغيرها ،بما أضافوه من إسهامات ،وإضافات تضيف إلى جهود منْ سبقوهم الجديد، ومن هنا كان لنا أن نقول بجيل طه حسين علامة على مجايليه فى زمانه بما أبدعوه من فن قصصى ،وجيل نجيب محفوظ إشارة إلى عطائه ضمْن عطاء أبناء جيله فى مجال الفن القصصي،استيعابا لجهود السابقين ،وتنمية له ،وتفاعلا معه بقدْر التفاعل مع منْ يليهم؛ وصولا إلى جيل فنى سرديّ لاحق برز فى خضمّ تفاعل هذين الجيلين العملاقين السابقين، ووضوح التحدّى الفنّى فى طرائق الإبداع؛ فكان لزاما وواجبا عليه أن يضع فى اعتباره قوة الإشعاع المنبثق من آفاق تلك الأقلام السالفة، ولهذا أثبت وجوده باكرا فى إرهاصات ما قبْل انتصاف القرن الماضى ،وما لبث أن استوى عوده،واستحصد ؛ليؤتى ثماره فى الستينيات من القرن العشرين، حيث وقف هذا الجيل معجبا بآثار السابقين مستوعبا له، مقدّرا جهودهم ، مستوعبا ما بلغه الفن القصصى العالمى من درجة من التطور ،صارت إرثا عالميا يمثّل حصادا بشريا وإنسانيا عاما يرتفع فوق الإقليمية والمحلية ، ويقدم فنا إنسانيا يمثل حضارة الإنسان المعاصر.

وكان من أبرز هؤلاء المبدعين ، وألمع أبناء ذلك الجيل «أبو المعاطى أبو النجا» الذى أعلن بشائر نشره سنة ١٩٤٩على صفحات المجلة الأشهر(الرسالة) لأحمد حسن الزيات - حلْم الواعدين الشادين والمشرئبّين آنذاك لفنون الأدب - ثم فى مجلة الآداب البيروتية لسهيل إدريس - ميدان اللامعين وقتذاك - لتصدر له مجموعته الأولى ١٩٦١(فتاة فى المدينة) مغتنما ميزة الانتشار خارج مصر،والأهم من ذلك أن المجموعة ظفرتْ بمقدمة نقدية تاريخية بقلم الناقد الجاد الصادق اللامع، أنذاك ، أنور المعداوى ،ويمكن القول ،دون مبالغة ،إن تلك المقدمة النقدية كانت بمثابة حفل التوقيع ،أومراسم حفْل التخرج لموهبة عميقة القرار،متمكنة من أصول الفن

وقواعده ،وبذلك ظفر أبو المعاطى بمثل ما ظفر به نجيب محفوظ ، إذا جاز لى التشبيه ،من اهتمامات النقاد ،حين قال :» سيد قطب ،وأنور المعداوى انتشلانى من الظلام إلى النور»،ثم أكمل «أبوالمعاطي»جولاته الفنية بجولة كانت أكثر شهرة،وأعمق أثرا حين جعل الناس يلهثون بعنوان قصته القصيرة الشهيرة.بل الأشهر (الابتسامة الغامضة)١٩٦٣،لتتتابع عطاءاته الفنية :الناس والحب ١٩٦٦، والوهم والحقيقة ١٩٧٤،ومهمّة غير عادية ١٩٨٠،والزعيم ١٩٨١،والجميع يربحون الجائزة ١٩٨٤،وفى هذا الصباح ١٩٩٩، وليضيف إلى سرده القصير الجامع بين الواقعية والرمزية سردا آخر يوظف الرؤية التاريخية،أو يقدّم روح التاريخ فى الواقع المعاصر فى روايته التى نافستْ شهرتها شهرة (الابتسامة الغامضة)، ألا وهى رواية(العودة إلى المنفي) ١٩٦٩،والتى صاغ فيها رؤيته الفنية فى قراءة روح التاريخ فى سيرة عبد الله النديم ،وإسقاطها على الواقع المعاصر ، بما يحققه السرد التاريخى من وظائف رمزية وإيحائية ،ومن هنا نافستْ شهرتها ،لدى القرّاء والنقّاد معا ، قيمة جائزة الدولة التشجيعية ١٩٧١،الممنوحة له عنها ،وبها ،ثم كانت روايته الثانية (ضد مجهول) ١٩٧٥،ماضية فوق الحاجز الوهمى الواقع بين ماهو تاريخى وأسطوري،أو المازج بينهما،وفى ذلك كله رأينا التصوير النابض للمجتمع،وقضايا الإنسان المعاصر، والشخصيات ،وذاتية المبدع المنصهرة فيها مع خبرته الحياتية والعملية المتنوعة بين مصر ، والخليج،أو الكويت على وجه الخصوص، على المستوى الأدبى العملى ،هذا إلى دراساته النظرية النقدية التطبيقية التى تجلتْ فى كتابه (طرق متعددة لمدينة واحدة) فى جانبه التنظيرى لفن القصة القصيرة : بناء ، ونشأة ،وقضايا ، وشكلا ،أو التحليلى التطبيقى للقصص الفائزة فى المسابقة التى أقامتها مجلة (العربي) الكويتية، وما كتبه من نقد قصصى فى كتبه الأخري .

وأعتقد أنه ـ بقدْر ما كانت مقدمة أنور المعداوى علامة مضيئة فى تاريخ «أبوالمعاطي» ـ كان ارتحال «أبو المعاطي» ـ بجسده ـ خارج الوطن ، إلى الكويت للعمل هناك ، كان ذلك الارتحال إقصاء وتغييبا لشهرة كاتبنا عن دائرة التذكر والمعايشة لدى فئات عمرية من قراء الفن القصصى ، ومتابعيه ، وبخاصة الشباب؛ فقد حافظنا ـ نحن الشيوخ ـ على القدر الذى نعرفه عن كاتبنا ، ونمّيناه ،بقرْبه الروحيّ منآ ،برغم بعْده الجسدى عن مصر ،ولم يكن الوضع مماثلا لدى الأجيال الأخرى ، ومن هنا كان هذا التقديم الذى ألخّص القول فيه تلخيصا قدْر ما أستطيع .

ونقف أمام قصته القصيرة (ذراعان) من مجموعة (الناس والحب) الصادرة سنة ١٩٦٦، حاملة خصائص المرحلة وسماتها ؛ لنجد قدرته الفائقة على تجسيد اللحظة ، فى تكاثر ذراتها وتكثّفها

معا، وبروز الزمان فى امتزاجه الحتمى بالمكان ،أو الحيّز،كما يقرر الواقع الأدبى والفيزيائى ، معا ، إذْ لا مكان بدون زمان ، ولا زمان بدون مكان ، حين تنْسرب الأحداس من موضع الذراعين لشاب وفتاة يجمعهما مكان هو السينما ، ولا يقتصرالأمر على مجرد تحديد سمات المكان منذ اللحظة الأولى للسرد . بل منذ الجملة الأولى من السرد :

»تباعا كانت الأضواء الهادئة تختفى فى حديقة سينما الكرْنك ، وهبّتْ نسمات رقيقة اهتزتْ لها الأشجار .«بل يمضى المكان نابضا بحركة الزمان ، زمان العرض السينمائى لجمهور لا يعنينا منه إلا الفتى والفتاة ، واستناد ذراع كل منهما إلى المسند المشترك لكرسيّ كل منهما ، لتلتقى روح الفتى بروح الفتاة ،فى مغامرة زمنية ذات بنْية محددة . هكذا تتكثّف حركة المكان والزمان بقدر ما تتكثف حركة النموذجين البشريين فى تلك القصة ، وحولهما تحوم الحركة الموظّفة توظيفا دقيقا، فى استغلال فنى يقظ للوصف السلس الذى لا يعوق حركة السرد. بل يمضى فى رابطة عضوية ملتحمه، والمشاعر المتنامية المنطقية، والتحليل الذى يستبطن الشخصية الأساسية، فى سمات فنية ليس أهمها التركيز والاقتصاد والتكثيف فحسب .بقدر ما تكون الأهمية القصوى لتلك المقدرة الفنية الفائقة فى الوصف والتحليل دون تعدد للمشاهد ، أوتزاحم للشخصيات ، والأحداث ، ودون الوقوع فى ملل رصد حركة الذراعين ، وفى استبطان أحاديّ لنفسية الراوى والقصة بضمير المتكلم ـ الذى يقدم سردا يتهيأ فيه المتلقى إلى القبول والتصديق لما يحكى ، بفارق واحد هو أن السرد بضمير المتكلم الذى يذيب الراوى فيما يروى ، لا يجعل السرد صادرا من سارد إلى متلق . بل يجعله وصفا لمتلق مشارك معايش ،على نحو يمزج بين الأنا الأولى التى أبدعت السرد ، والأنا الثانية الكامنة داخل العمل الأدبى ،حتى يحقق ما سموه « الرؤية المصاحبة «،الكامنة فى اندماج السارد فى المسرود ،وذلك بفضل القدرة الهائلة على الإبداع المتمثّل فى تجسيد الموقف والحدث دون ترهّل أو إسراف فى حدث يكاد يكون واحدا تتخلله فترة الاستراحة المتّبعة فى العروض السينمائية ومتابعة دقيقة لاستبطان ذلك الطرف الواحد ، وهو الراوى المذكّر، وما دار من حوار ، ووصف تلخصها الجمل : « كانت مشاعرنا مع السر الرقيق الذى تخفيه يدانا المرتعشتان كطائر نخشى أن يموت أو ينفلتْ « ، وكما كانت (الابتسامة الغامضة) فى قصته الشهيرة فيما سبق ، كان ختام تلك القصة فى (التفاتة : (

»مرة واحدة التفتتْ جارتى خلفها قبْل أنْ تغلق خلفها باب التاكسى الذى ركبتْه الأسرة أمام «السينما» «. على نحو يلفت الانتباه إلى النهج الفنى الذى ينهجه أبو المعاطى أبو النجا فى سيميائية العنْونة ، حيث يتحول العنوان إلى نص مواز جعل ـ فيما مضى للابتسامة الغامضة كيانا دلاليا لا مجرد كيان لغوى فحسب ،بقدْر ماجعل للذراعين ـ الآن ـ فى هذا السياق كيانا

دلاليا يفوق كيانها القائم فى بنيتها اللغوية ،فإذا كان العنوان مختزلا فى جملة أصوات ،فإن مداه فنيا،يفوق ذلك، إذْ يحْمل تموّجات وشلالات تنسال وتسرى فى شكل إشارات تتنوع حسب مستويات اللغة السردية ،وشبكة علاقاتها ، وذلك منذ المستهل إلى الختام، ليصبح العنوان نابعا من الداخل، وليس مفروضا من الداخل .